دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد ٣١، العدد ٢، ٢٠٠٤

تفعيل وسائل الإدراك في الإنسان ومنهج القرآن في توظيفها

*زياد خليل الدغامين**

ملخص

بلغت وسائل الإدراك التي أحصاها هذا البحث في القرآن الكريم سبع عشرة وسيلة، زاد مجموع آياتها عن ألف آية. وحاول هذا البحث إبراز منهج القرآن في توظيف هذه الوسائل، وبيان الأهداف والغايات من تفعيل القرآن لها، وأبرز الميادين التي تعمل فيها هذه الوسائل. وذكر من خلال أربع قضايا هي: إنزال الماء من السماء، والقرآن، وإهلاك الأمم السابقة، والآخرة، كيف وظّف القرآن أغلب الوسائل أمام كل قضية. وبيّن البحث أنّ حملة القرآن الكريم على الكافرين الذين عطلوا وسائل إدراكهم تهدف إلى علاج هذا الطبع الغليظ فيهم لئلا تتبلد أحاسيسهم. وقد بيّن البحث أن وسائل الإدراك معنية بمعرفة أسس التصوّر الحقّ: فالله هو الخالق، والكون مظهر لتجلي تفرّده ووحدانيته، والإنسان خليفة في هذه الأرض، والآخرة هي المستقر الخالد للإنسان. إن القرآن قد أطلق العنان لوسائل الإدراك في الإنسان للبحث والنظر في عالم الشهادة، في حين ظلت حقائق عالم الغيب تتطلب يقينا قويا مبنيا على الإيمان.

المقدمـــــة

يفتقر العقل المعاصر –غير المسلم– إلى منهجية منضبطة في التفكير، بسبب هيمنة النزعة المادية عليه، وإقصائه الوحي عن توجيه مسيرة الحياة، فقامت الحياة على أسس من الفحشاء والمنكر في السياسة والاقتصاد والتربية والاجتماع والسلوك والأخلاق، فغرقت في مستنقع من التفكير آسن، فشقّت على الإنسان، وكلّفته من أمره عسرا، وأرهقته صعدا، وجعلت منه طفلا لا يفكر إلا في لهو وعبث، أو جاهلا لا يفكر إلا في لذّة وشهوة، محدود الإدراك، ضيّق الأفق، يغلّب مصلحة نفسه ومنفعتها على كل القيم والمبادئ الفاضلة، لا ينطلق إلى الحياة من شيء من أسس الحقّ والفضيلة، ولا يسير في هذا الكون على وعي وبصيرة، ولا يفكر فيما ينجم عن أفعاله من أضرار، ولا يقدّر ما ينتج عن أعماله من أخطار.

وإذا أريد استقصاء الأسباب الكامنة وراء هذا الشلل في التفكير، فيمكن القول إنّ انصراف ذلك العقل المؤسس لتلك النظرة في الحياة إلى حاجات ومنافع دنيا حدّ من نشاط العقل بفعل مؤثرات هوى النفس عليه، وافتقاره –أيضا– إلى معيارية تحدّد له الأولويات والمهام الأساسية التي يجب عليه إنجازها، ليصوغ نظام الحياة في ضوئها. وثمة سبب آخر يتمثل في تعطيل وسائل الوعي والإدراك عن أداء وظيفتها، أو صرف تلك الوسائل لإحداث عمليات شيطانية ضدّ الإنسان والإنسانية.

لقد تناول القرآن الكريم إشكاليات العقل ومعضلات التفكير المتمثلة في الحيرة في أمّهات قضايا الإنسان؛ كمعرفة الخالق جلّ جلاله، وحكمة الخلق، وغاية الحياة، وعمل على حلّها في وقت مبكر من نزول القرآن. ولقد نشطت الآيات المكية في إنجاز هذه المهمة لكونها أساس إنسانية الإنسان وكرامته، وأهليته، وصلاحيته لمهمّة الخلافة في الأرض، وعمارتها، والشهادة على الخلق. وإنّ ما وضعه القرآن من أسس في ذلك يكشف عن إعجاز منهجي للقرآن الكريم، فضلا عن كون تلك الأسس تعدّ قواعد متينة للبحث العلمي الموضوعي من حيث توجيه تلك الوسائل الشاهدة الناطقة بالحقّ إليه.

أقول: لقد أنجز القرآن الكريم مهمّته في إعادة الحقّ إلى نصابه، والعقل إلى رشده وصوابه، لئلا يغرق في لهو، أو يقضي في عبث، أو ينتهي إلى حسرة وألم، وخزي وندم؛ فأثار في الإنسان كل وسيلة تقود إلى التفكير، وتكون منفذا إلى القلب العاقل، وعمل على إثارتها وتفعيلها وتنشيطها؛ لتؤدّي وظيفتها على خير وجه، وتكون حارسا أمينا للإنسان، تقيه الشرور، وتجنّبه المهالك والأحزان.

وحدّد القرآن الكريم آفاق التفكير، والأسس التي ينطلق منها عبر إثارته تلك الوسائل وتوجيهها إلى أمّهات القضايا

---

* كليـة الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، المفـرق، الأردن. تاريخ استـلام البحـث ٢٠٠٣/٧/٢٩، وتاريخ قبوله ٢٠٠٤/٦/٢٤.

المرتبطة بحياة الإنسان؛ ليتصف الإنسان بالحكمة والتعقل في تفكيره وسلوكه، وليهتدي بفضل القرآن للتي هي أقوم. إنّ هذه العملية الممنهجة تهدف إلى مصلحة الإنسان، وتحقيق الخير له، ليعيش في عافية وستر وطمأنينة، ليس فقط في الحياة الدنيا، بل في الحياة الآخرة كذلك.

ويتمثل هذا التفعيل وهذه الإثارة في الكم الهائل من المصطلحات التي استخدمها القرآن الكريم في توظيف وسائل الإدراك في الإنسان نحو القضايا ذات الأهمية البالغة المرتبطة بجوهر الحياة الإنسانية، من أجل تحقيق أهداف هذه الحياة وغاياتها، ليتمّ على الإنسان نعمة التكريم، ولينأى به – بعيدا– عن الانحطاط إلى مستوى الحيوانية.

أقول: هناك مصطلحات ومفردات عديدة وظّفها القرآن الكريم في خدمة منهجية التفكير، تعود كلها أو جلّها إلى الحواس، والى العقل، وما يؤثر عليه من وسائل لتفعيله وإثارة نشاطه – من أجل إنجاز عملية التفكير، ومن معاني هذه المفردات: التعقل وهو ما يرجع إلى العقل، أو ما في معناه: كالحجر والنّهى واللّبّ والحلم، والتفكر، والتدبّر، والتذكّر، والجدل، والحوار، والسمع، والبصر، والنظر، والفقه، والسؤال، والاهتداء، واليقين. فهذه سبع عشرة مفردة لكل منها منفذ الى القلب، ومدخل إلى التأثير في العقل الواعي المتفكر المتدبر المذكر البصير. وباستعراض موجز لهذه المفردات في القرآن الكريم نجد إشارات، بل هدايات قرآنية عظيمة في صياغة منهج التفكير لدى الإنسان.

وحسبي في هذا البحث المختصر في هذا الموضوع الضخم أن ألفت النظر إلى أهمية البحث في هذا الموضوع لتتوجّه الدراسات إليه، وأنا على يقين بأنّ كل مفردة من تلك المفردات لحرية ببحث مستقل.

وستقع هذه الدّراسة في مبحثين وخاتمة:
المبحث الأول: تفعيل القرآن وسائل الإدراك في الإنسان.
المبحث الثاني: منهج القرآن في توظيف وسائل الإدراك.
الخاتمة، وتشتمل على أهم نتائج الدراسة.

المبحث الأول
تفعيل القرآن وسائل الإدراك في الإنسان

١ مادة عقل(*) في القرآن الكريم

"أصل العقل الإمساك والاستمساك، وهو القوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عقل"(١). وقيل في تعريفه:"هو العلم بالمدركات الضرورية. وذلك نوعان، أحدهما: ما وقع عن درك الحواس. والثاني: ما كان مبتدئا في النفوس،... فإذا صار عالما بالمدركات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل. وسمّي بذلك تشبيها بعقل الناقة؛ لأنّ العقل يمنع الإنسان من الإقدام على شهواته إذا قبحت، كما يمنع العقل الناقة من الشرود إذا نفرت"(٢).

وهو متوجّه إلى منع الإنسان عما لا ينبغي. وأولى ما يمكن أن يعرّف به العقل منوط بما له من وظيفة ومجال عمل وقدرة إنجاز. و"لقد دلّ الاستقراء على أنّ المعنى الذي توحي به النصوص على اختلاف ألفاظها واستعمالاتها تجعل من العقل قوّة إدراكية معيارية"(٣).

ووردت مادّة عقل وما يشتق منها في القرآن الكريم تسعا وأربعين مرّة، في سياقات متعدّدة. ويهمنا من هذه السياقات ما كان في جوانب توظيف العقل لتفعيل دوره وإطلاق نشاطه في ميدان الحياة، وهذه الجوانب هي:

– توجيه العقل لإدراك حقائق الغيب والتسليم بها، والخضوع لها من خلال النظر في أحوال عالم الشهادة. فالعقل يوظف في تفهّم آيات الله الكونية للوصول إلى الوحدانية ونفي الشريك عنه سبحانه، فهو سبحانه ربّ المشرق والمغرب (الشعراء:٢٨). ويوجّه ليدرك أنّ الله تعالى لا يقبل شريكا له في ملكه بضرب الأمثال (الروم: ٢٨، العنكبوت: ٤٣). ويوجّه لإدراك حقائق ما جاء به الأنبياء، وأنّهم لا يهدفون من وراء ما يدعون إليه إلى تحصيل أجر ماديّ. إنّ دعوة الأنبياء لذلك ليست مقابل أجر، إنّها حقائق لا تُباع وتشترى (هود:٥١). ويوظف العقل ويستثار لإدراك مبلغ ضلال الإنسان في اتباعه أو عبادته للشيطان المتمثل في اتباع هوى النفس، وتركها على غيّها وضلالها (يس:٦٢).

– توجيه العقل لإدراك ما في آيات الله الكونية من دلائل على الوحدانية والبعث والنشور، وكون بعضها آيات مسخرّة للإنسان، لتحقيق أركان الإيمان وتبيين دلائله: إحياء الأرض بعد موتها، واختلاف الليل والنهار، وإنزال الماء من السماء، وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض، وخلق السموات والأرض، وآية البرق، والإحياء والإماتة في الخلق، وآية الأرض وكونها قطعاً متجاورات، وإخراج الثمار متنوعة (انظر: الحديد: ١٧، الجاثية: ٥، البقرة:٧٣، ١٦٤، الروم: ٢٤، المؤمنون: ٨٠، النحل: ٦٧، الرعد:٤). إنّ عدم إدراك هذه الحقائق كفيل بنفي العقل عن الإنسان (العنكبوت: ٦٣).

– توظيف العقل لإدراك حكمة الله تعالى في تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم (النحل:١٢).

– توظيف العقل للنظر في آيات الله في الأنفس، كخلق

الإنسان والأطوار التي مرّ بها هذا الخلق (غافر: ٦٧). وكيف يصير هذا الإنسان حينما يعمّر فينكس في الخلـق (يس: ٦٨).

– توجيه العقل للنظر في آيات الله التشريعية، كتشريع الاستئذان، ونفي الحرج عن الأكل من بيوت الأقارب والأصدقاء (النور:٦١)، وتحريم الشرك، والإحسان إلى الوالدين، وعدم قتل الأطفال خشية الفقر، وعدم قتل النفس (الأنعام:١٥١)، وتحريم اتخاذ بطانة من غير المؤمنين (آل عمران: ١١٨)، والحثّ على بذل الخير والمعروف للناس وهو ما عبّر عنه القرآن بإقراض الله قرضا حسنا (البقرة: ٢٤٢).

– إثارة العقل للنظر في أحوال الأمم الغابرة وآثارها وسنّة الله التي تحققت فيها وقضت بإهلاكها (الصافات: ١٣٨، العنكبوت: ٣٥، يوسف: ١٠٩).

– ويوظف القرآن العقل ليدرك من خلال المقارنة والممارسة أنّ ما عند الله تعالى في الآخرة خير من متاع الدنيا الزائل (انظر:الأنعام: ٣٢، القصص:٦٠، الأعراف: ١٦٩، يوسف:١٠٩). ويقصد بالممارسة هنا الاعتبار والاتعاظ بما حلّ بالأقوام والأمم السابقة التي تنكبت طريق الحقّ، وشاقّت الله ورسله من الدمار والهلاك.

– ويوجّه العقل لتفهّم حكمة نزول هذا الكتاب بلسان عربي مبين، فيه ذكر العرب وشرفهم (انظر:الزخرف:٣، الأنبياء:١٠، يوسف: ٢)، والاستدلال بحال محمد ﷺ على أنّ القرآن من عند الله (يونس: ١٦)، فالعقل هنا ارتبط بالقرآن تفهما وتدبرا.

– ويوجّه العقل كذلك في إدراك بعض التشريعات الأخلاقية؛ فمخالفة القول للفعل من حيث الأمر بالشيء وعدم الاتيان به أمر قبيح في نظر العقل (البقرة:٤٤)، فالقصد من استثارته هنا "حثّه على تزكية النفس، والإقبال عليها بالتكميل، لتقوم بالحقّ فتقيم غيرها"(٤)، وعدم توقير مقام النبوّة كذلك أمر قبيح في نظر العقل (الحجرات:٤).

– ولقد شنّ القرآن حملة واسعة على أولئك الذين لا يوظفون عقولهم في إدراك حقائق عالم الغيب وعالم الشهادة. فورد مثل ذلك في سياق إهانة الذين لا يعقلون، وجعل الرجس عليهم (يونس:١٠٠)، وبيان ندمهم لعدم توظيف عقولهم فيما ينفعهم (الملك:١٠)، وذمّ العقل المادي الوثني لعدم النظر والتعقّل والإدراك، وتعطيل العقل عن وظيفته في إدراك أمهات الحقائق المبثوثة في الأنفس والآفاق، وافترائهم الكذب على الله (انظر: الفرقان:٤٤، الحج:٤٦، الأنبياء:٦٧، المائدة: ١٠٣، البقرة:١٧٠،١٧١ يونس: ٤٢، الأنفال: ٢٢).

وذمّ أهل الكتاب من اليهود لاستخدامهم العقل في اتجاه سلبي، أو لغير ما وضع له، فهو عقل مستهتر بما شرع الله من الصلاة (المائدة:٥٨)، ويستحقّ الذمّ لارتكابه جريمة كبرى بتحريف ما أنزل الله على موسى عليه السلام (البقرة:٧٥)، وتزييفه حقائق التاريخ بنسبة اليهودية إلى إبراهيم عليه السلام (آل عمران: ٦٥).إنهم مثال العقل المتذبذب المشتت (البقرة: ٧٦، الحشر:١٤). إنّه حين يصل الإنسان إلى درك الشرك والوثنية يستوي هو ومن يعبده من حيث انتفاء العقل عنهما: العابد والمعبود (الزمر:٤٣).

"لقد انتفى عن أولئك كلهم العقل، أي: ثمراته"(٥)، وما أنيط به من وظائف. وحملة الردع هذه إثارة من جانب آخر، وتحفيز للعقل كي يؤدي واجبه، ويقوم بوظائفه.

ونخلص من توجيه القرآن الكريم للعقل ليحسن الوعي والإدراك والتفكير إلى الحقائق الآتية:

– إنّ العقل معنيّ بإدراك حقائق الوجود العظمى، كوحدانية الله، واليوم الآخر، والنبوّة. وإنّ الدائرة التي يعمل فيها العقل هي عالم الشهادة الذي يمثل كتاب الكون المنظور، فيوظف ما فيه من دلائل وعبر وآيات ذات صلة وثيقة بحياة الإنسان لإدراك تلك الحقائق. وإنّ إهمال هذا الإدراك يعني بالضرورة انتفاء العقل؛ لأنّ هذه الحقائق قطعية يقينية ثابتة. بينما الشرك والوثنية والفكر والجحود وغير ذلك مما أنتجه العقل المادي هو في الحقيقة كذب وافتراء، وتزييف وبهتان، وإفك وبطلان. "ومن لا يعرف أسرار هذه الكائنات، وإنما ينظر الى ظواهرها فيراها كما تراها العجماوات، فهو لا يفهم معنى كونها آيات؛ لأنّه أهمل آلة الفهم التي امتاز بها، وهي العقل. ولذلك أخبر الله تعالى عن هذه الأجناس كلها أنّ فيها آيات لقوم يعقلون، فإنّهم هم الذين ينظرون في أسبابها، ويدركون حكمها وأسرارها، ويميزون بين منافعها ومضارها، ويستدلون بما فيها من الاتقان والإحكام، والسنن التي قام بها النظام، على قدرة مبدعها وحكمته، وفضله ورحمته، وعلى استحقاقه للعبادة دون غيره من بريّته. وبقدر ارتقاء العقل في العلم والعرفان، يكمل في التوحيد والايمان، وإنّما يشرك بالله أقلّ الناس عقلا، وأكثرهم جهلا"(٦).

إنّ "الذي ينبغي أن نثوب إليه مرّة بعد مرّة أن التنويه بالعقل على اختلاف خصائصه لم يأت في القرآن عرضا، ولا تردّد فيه كثيرا من قبل التكرار المعاد، بل كان هذا التنويه بالعقل نتيجة منتظرة يستلزمها لُباب الدين وجوهره، ويترقبها من هذا الدّين كل من عرف كنهه، وعرف كنه الإنسان في تقديره"(٧)، فهو دين العقل والفطرة.

– وإذا كان كتاب الله المنظور ميدانا من ميادين النشاط

العقلي المنضبط غير المحدود، فإنّ كتاب الله المسطور- الوحي- هو ميدان آخر لهذا النشاط المنضبط غير المحدود. وقد سطّر فيه آيات تشريعية وأخلاقية هائلة، هي أولى ما ينبغي للعقل إدراكه، وحبس النفس عند توجيهاته.

- الإنسان وتاريخ الإنسان ميدان ثالث يجب أن يكون الإنسان منه على وعي وبصيرة. الإنسان من حيث خلقه آية ظاهرة على الوحدانية. والإنسان من حيث سلوكه على وجه الأرض مدعاة للتعقّل والإدراك؛ ليكتشف الإنسان سنن الله تعالى في الوجود، وكيف أنّها سنن نافذة وقاطعة لا تحابي أحدا، وليكتشف الأخطاء الناجمة عن هذا السلوك التي استوجبت عقاب الله وسخطه، فيتعظ الإنسان بالخبرة والتجربة ويعتبر، لئلا يزيغ فيهلك، أو يطغى فيتعس.

- توجيه العقل إلى معرفة سنن الله التسخيرية في الوجود؛ ليكتشف حكمة الله فيها، فيتمكن من استثمارها وتطويعها لصالح سعادته ورفاهيته في الدنيا. فالعقل -إذن- ليس معنيًا بإدراك شؤون الحياة الآخرة، أو حقائق الغيب حسب، بل هو كذلك معني بإدراك شؤون حياته الدنيا ليعيش في نعمة وعافية. ومن هنا ندرك حجم فساد العقل المادي المعاصر الذي قصر العقل على إدراك شؤون الحياة الدنيا، وما سخّر الله تعالى فيها من آيات. قال أبو حيان: "إن القرآن لم يكتف بالإخبار بأنّه تعالى منفرد بالإلهية حتى أورد دلائل الاعتبار، ثم مع كونها دلائل، بل هي نعم من الله تعالى على عباده، فكانت أوضح لمن يتأمل، وأبهر لمن يعقل؛ إذ التنبيه على ما فيه النفع باعث على الفكر، لكن لا تنفع هذه الدلائل إلا عند من كان متمكنا من النظر والاستدلال بالعقل الموهوب من عند الملك الوهاب"(٨).

وبهذا يظهر أنّ الوحي حين "فرض قضية الإيمان لم يطالب بمجرد التصديق الأعمى المجرد من البرهان العقلي. وحيث فرض التكليف لم يجرده من التعليل العقلي. وحيث فرض الأحكام الشرعية لم يغفل جانب العلّة والحكمة فيها. وهي مسألة تتوقف على الإدراك العقلي. وحيث فرض عمارة الأرض كان مقتضى العمارة والاستخلاف نفي العبثية والتصرّف الأعمى. وهي كل المعاني التي حمّلها القرآن كلمة الأمانة، والأمانة تكليف، والتكليف مداره اليقظة وقوّة الإدراك"(٩).

٢. "الحجر" في القرآن الكريم

الحجر بمعنى العقل ورد مرّة واحدة في قوله تعالى: "هل في ذلك قسم لذي حجر؟" (الفجر:٥) و"تصوّر من الحَجر معنى المنع لما يحصل فيه، فقيل للعقل: حجر، لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه"(١٠). قال في الكشاف: "والحجر: العقل؛ لأنّه يحجر عن التهافت في ما لا ينبغي"، ونقل عن الفراء قوله: "يقال إنّه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها"(١١). وقد ورد في سياق الحديث عن آيات الله الكونية ذات الاتصال المباشر بحياة الإنسان مما يشكل له مانعا من الكفر وعاصما من الضلالة والغيّ. فالفجر والليالي العشر والشفع والوتر والليل إذا يسر، مظاهر لتجلّي قدرة الله تعالى، "وهي أمور حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول"(١٢). وهي جديرة بالقسم من جهة، وجديرة بأن تكون موضع تعقّل وإدراك من قبل الإنسان من الجهة الأخرى.

٣. "النُهى" في القرآن الكريم

"النُهية: العقل الناهي عن القبائح، جمعها نُهى"(١٣). وقد وردت مرّتين في سورة طه فقط، مرّة في سياق الحديث عن آيات الله الكونية (طه:٥٤) لتكون رادعا للإنسان عن غيّه وضلاله، ومرّة في سياق الاعتبار بآثار الأمم السالفة وما حلّ بها من هلاك ودمار (طه: ١٢٨).

٤. "اللبّ" في القرآن الكريم

اللبّ هو "العقل الخالص من الشوائب، وسمّي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه، كاللباب واللبّ من الشيء، وقيل: هو ما زكى من العقل، فكلّ لبّ عقل، وليس كل عقل لبّ"(١٤).

وقد ورد في القرآن الكريم ستّ عشرة مرّة في سياقات كلها تحتم إعمال العقل في أرقى درجات استخدامه وتوظيفه. وكلها وصف لفئة من الناس هم أولو الألباب الذين اقترن ذكرهم إزاء العديد من القضايا والأمور:

- فقد اقترن ذكرهم بتشريع القصاص(البقرة: ١٧٩) "للتأمل في حكمته"(١٥)، وإيتاء الحكمة؛ ليكون اللبّ مدعاة للتذكّر (البقرة: ٢٦٩). واقترن ذكرهم بأمرهم بالتقوى في سياق الحديث عن الحج (البقرة: ١٩٧)، والتمييز بين الخبيث والطيّب (المائدة:١٠٠).

إنّ العقل اللبيب الحصيف مدعوّ هنا للتذكّر بتمرير تلك الحقائق على القلب فتكون حاضرة فاعلة متجلية في سلوك الإنسان في أرض الواقع.

- واقترن ذكرهم بالحديث عن كتاب الوحي -القرآن- وعن قضايا خاصّة به، كالحديث عن متشابه القرآن، فقد استدعاهم القرآن ليتذكروا أنّ حقائق المتشابه كحقائق المحكم: كل من عند الله (آل عمران:٧). واستدعاهم ليتذكّروا أن القرآن حق (الرعد:١٩)، وأنّه بلاغ وإنذار (إبراهيم: ٥٢)،

واستدعاهم ليتدبّروا آياته (ص:٢٩). وكذلك شأن ما أوحى الله تعالى الى موسى –عليه السلام– يتطلب حضورهم ليدركوا أنّه كتاب هدى وذكرى (غافر: ٥٤). واستدعاهم ليتذكروا أن لا مساواة إطلاقا بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون (الزمر: ٩). واستدعاهم ليعرفوا آثار رحمة الله لنبيه يونس عليه السلام (ص:٤٣). كل ذلك الاستدعاء للتنويه بشأنهم، وتحريض غيرهم على اللحاق بهم، فهم محل ثناء وإطراء من الله جل جلاله.

– إيراد ذكرهم مقترنا بكتاب الكون وآيات الله فيه، كآية خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار (آل عمران: ١٩٠)، وآية إنزال الماء من السماء فسلكه ينابيع في الأرض (الزمر:٢١).

– استدعى القرآن حضورهم ليشهدوا وليقفوا على ما حلّ بالأمم السابقة من عذاب وهلاك، وكيف تحقّقت سنن الله تعالى فيها (الطلاق:١٠)، وللاعتبار والاتعاظ بقصص من تقدمهم من الأمم (يوسف:١١١). فهم أولى الناس بهذا الوعظ؛ وأجدرهم بالاستجابة لهذا الخطاب.

– التعريف بهم، فهم الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى ربهم، وهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهم الذين هداهم الله (الزمر:١٧–١٨).

٥. "الحلم" في القرآن الكريم

الحلم بوصفه سببا من مسبّبات التعقّل وسيلة إدراك فاعلة، قال الراغب في معناه: هو "ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب، وجمعه أحلام، قال الله تعالى: "أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون" (الطور:٣٢)، قيل معناه: عقولهم، وليس الحلم في الحقيقة هو العقل، لكن فسروه بذلك لكونه من مسبّبات العقل"(١٦). "وكأنّه من الحلم: الأناة والتثبّت في الأمور، وذلك من شعار العقلاء. والحلم في حقّه تعالى بمعنى أنّه سبحانه لا يستخفّه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزّه الغضب عليهم. ولكنه جعل لكل شيء مقدارا، فهو منتــه إليه"(١٧).

وقد ورد مرّة واحدة في القرآن الكريم في سياق الحديث عن نبوّة محمد ﷺ، وأنّ كلام الله برهان نبوّته، والإنكار على الماديين الذين تشككوا في نبوّته مع وجود هذا البرهان الساطع والحجة الظاهرة، إنّ موقفهم ذلك لم ينبن على أناة ولا تثبت، ولكنّه انبنى على خفة وطيش. وهذا من سيما الجهلاء لا العقلاء.

٦. مادّة فكر(*) في القرآن الكريم

"الفكرة قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم. والتفكر: جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان"(١٨). وإذا كان التفكّر من خصائص الإنسان، فإنّ المقصود به "إعمال الذّهن في آيات الله للوصول الى حقيقة وجوده وصفاته، أو هو المنهج الذي يسلكه العقل للوصول الى المعرفة"(١٩).

والتفكر ليس عملية ذهنية عقلية مجردة، ولكنه "يشمل الجانب الفكري والعاطفي والانفعالي والإدراكي للمؤمن، أي: انه يشمل جميع أنشطته النفسية والمعرفية والروحية. ومن الصعب أن يتصوّر الإنسان ذاكرا لله قليل التفكر في مخلوقاته، أو أن يتصوّر متفكرا في خلق الله لا يعدّ من الذاكرين"(٢٠).

إنّ التفكير منفذ وسبيل يصل بالإنسان إلى اليقين. يقول المحاسبي: "ولا غناء بالعبد عن التفكر والنظر والذكر، ليكثر اعتباره ويزيد في علمه، ويعلو في الفضل، فمن قلّ تفكره قلّ اعتباره، ومن قلّ اعتباره قلّ علمه، ومن قلّ علمه كثر جهله، وبان نقصه، ولم يجد طعم البرّ، ولا برد اليقين، ولا روح الحكمة"(٢١).

وقد وردت مادّة التفكّر ومشتقاتها في القرآن الكريم ثماني عشرة مرّة في سياقات متعدّدة أيضا، وهذه السياقات هي:

– التفكر في نبوّة الرسول ﷺ وبشريته، واتباع ما جاء به (انظر: الأنعام:٥٠، الأعراف:١٨٤، سبأ: ٤٦). وهو دليل لطيف على أنّ بشرية الرسول ﷺ لا تنافي نبوّته، وليس في العقل ما يمنع من كون الرسول بشرا. وليس ما يقوله مدعاة إلى اتهامه بالجنون. إنّ الجنون جدير بمن يجهل التصوّر الحقّ في الحياة، ويتعامى عن أولى أولوياته.

– توجيه الفكر لإدراك سرعة زوال الحياة الدنيا وانقضائها عن طريق ضرب المثل (يونس: ٢٤). وهذا يسوق إلى الاعتراف بالآخرة بوصفها دار بقاء، لا دار فناء. وإذا كان المصير إلى الله تعالى ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فما بال الإنسان لا يرعوي لآيات الله التي تتلى عليه! إنّ هذا المصير يحتّم عليه التفكير بجدّية واهتمام.

– اتصال التفكر بالقرآن الذي هو كتاب ذكر للناس (النحل: ٤٤)، وضرب المثل للقرآن الكريم (الحشر: ٢١). وإذا لم يصل الإنسان عبر إعمال فكره في القرآن ليدرك أنّه كلام الله تعالى فهو حريّ باللعن والطرد من رحمة الله تعالى؛ لأنّ تفكيره موصوف بالسلبية، ولا يمتّ إلى العلمية والموضوعية بصلة (المدثر:١٨).

– التفكر في ما جاء به القرآن الكريم من آيات تشريعية انتظمت بها شؤون الحياة في الدنيا بوصفها دار عمل، وفي

الآخرة بوصفها دار جزاء، كهدي القرآن في شأن الخمر (البقرة: ٢١٩)، والتفكر في الاستقامة والبعد عن الرياء في سياق الحديث عن الإنفاق (البقرة:٢٦٦)؛ لأنّ الصلاح الحقيقي الجادّ منوط بهذا النوع من التفكر الذي يقف على معرفة أسرار هذا التشريع وحِكَمه. وإنّ العقل مدعوّ على الدوام للتفكّر من أجل استجلاء كل غايات التشريع ومقاصده؛ "لأنّ التفكير في أمور الدّين أصل من الأصول المقررة. وشرّ الناس في الإسلام من يحرّم على خلق الله أن يفكروا ويتدبروا بعد أن أمرهم الله بالتفكير والتدبّر، وأنبأهم بعاقبة الذين لا يفكرون ولا يتدبرون. ومثله شرّا من يحرم الاجتهاد على الناس جميعا لأنّه قضى على خلق الله الى آخر الزمان بالحرمان من نعمة العقل والعلم والصلاح(٢٢).

– التفكر في آيات الله في الآفاق والأنفس: كخلق السموات والأرض (آل عمران:١٩١)، ومدّ الأرض وجعل الرواسي والأنهار فيها، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار(الرعد: ٣)، وإنبات الزرع والزيتون والنخيل والأعناب وكل الثمرات بالماء (النحل: ١١)، وإخراج العسل من بطون النحل(النحل: ٦٩)، وخلق الأزواج من الأنفس ليُسكن إليها(الروم:٢١)، وموت الأنفس حقيقة ومجازا (الزمر: ٤٢). وكلها دلائل تقطع بوحدانية الله يقينا. "والتفكر في هذه الآيات يحتاج إلى فضل تأمّل واستعمال فكر"(٢٣). فهي أدلّ دليل على وحدانية الله وتصرّفه في الكون.

– توجيه عقل الإنسان للتفكر في سنن الله التسخيرية المبثوثة في السموات والأرض واستثمارها لصالح مهمّة الخلافة القاضية بعمارة الأرض، وعبادة الله (انظر: الجاثية: ١٣)؛ "لأنّ الارتباط بين مداومة الفكر في كون الله الواسع كعبادة راقية وبين تقدّم العلم أمر يؤكده تاريخ تقدّم العلم التجريبي للأمّة الإسلامية، فما من شك في أن الكشوفات والاختراعات التي قدّمها علماء المسلمين في كل حقل وميدان قد علّمت أوروبا الطريقة العلمية التي قامت على أساسها حضارتها الحديثة. وما من شك في أنّ هذا التقدّم كان نتيجة مباشرة لايمانهم العميق بالله تعالى، وبسبب اتباعهم لتعاليم دينهم بالنظر في السموات والأرض والبحث عن سنن الله ونواميسه وآياته وحكمته في مخلوقاته"(٢٤).

– إنّ الذي لا ينتفع بآيات الله وينسلخ منها جدير بأن يشبّه بالكلب؛ "لأنّ التخيّل الذهني لحالة الكلب لاهثا في وضعيتين يجلب للنفس الاشمئزاز من جهة، ويعطي سرد العبرة وضرورة الثبات عند الآخرين لئلا تنطبق عليهم الهيئة الشائنة من جهة أخرى"(٢٥) (انظر:الأعراف:١٧٦).

يلاحظ هنا أن قضايا التفكير – في الأعم الأغلب – ذات طابع تخصصي، لأنّه يعالج قضايا أشدّ خصوصية أو أكثر تحديدا، مما يعني أن المخاطبين بها طبقة أرقى؛ في حين ان القضايا التي تناولها العقل هي قضايا عامّة يدركها من كان به ذرّة من عقل، خاصّة فيما يتصل بحقيقة الوحدانية. لقد تناول التفكير هنا بعض القضايا التي تناولها العقل -كما ذكرنا- بصفة تخصّصية وإن كانت في المجالات نفسها، إلا أنّ الحديث عن الاعتبار بآثار السابقين والاتعاظ بهم لم يذكر هنا؛ لأنّ القضايا التي يدور حولها التفكير قضايا مدركة مشاهدة في الأغلب. إنّ آيات التفكر متوجهة إلى عالم الشهادة، ليس هناك تفكر بعالم الغيب، وإنّما هناك ايمان به وتصديق. وحين نجد أنّ ما عند الله في الآخرة من خير يتطلب نوعا من التعقل، نجد أن التفكر متصل بزوال الدنيا وانقضائها.

والفارق الثالث في استعمال القرآن مادتي التعقل والتفكر أنّ حملة القرآن الواسعة على من لم يعمل عقله، أو على الماديين كانت كبيرة وشديدة بسبب وضوح تلك القضايا المطروحة للتعقّل وجلائها، ويسر إدراك ما تهدف إليه، إنها تشبه -إلى حد كبير- شك الماديين في شروق الشمس وغروبها، بينما نجد أن هذه الحملة قد خفت في حال المخاطبين بالتفكر؛ لأنّهم من طبقة أرفع وأرقى.

إنّ التنوع في استثارة القرآن الكريم وسائل الإدراك كان باعتبار الأفراد المخاطبين الذين اختلفت وسائل إدراكهم، وتفاوتت مدارك وعيهم، أو باعتبار محدودية تلك القضايا وخصوصيتها، والله أعلم.

٧. مادّة التدبّر في القرآن الكريم

"التدبير: التفكير في دبر الأمور"(٢٦). وقال في اللسان: الدّبرة: العاقبة، ودبّر الأمر وتدبّره: نظر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره. وعرف الأمر تدبّرا، أي: بأخَرَة، قال جرير:

ولا تتقون الشرّ حتى يصيبكم
ولا تعرفون الأمر إلا تدبّرا

والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته. والتدبّر: التفكر فيه(٢٧). قال أبو السعود: "وتدبّر الشيء تأمّله والنظر في أدباره، وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تفكر ونظر"(٢٨).

إذن، يأتي تدبّر القرآن ليعرف ما تؤول إليه عاقبة معناه، أي: تحقّق ما أخبر به ونبأ عنه من شؤون الدنيا وأمور الآخرة.

وردت هذه المفردة أربع مرّات في القرآن الكريم، ثلاثة منها في تدبّر القرآن الكريم وآياته (انظر: النساء:٨٢، محمد: ٢٤، ص: ٢٩). ومرّة في تدبر القول (المؤمنون: ٦٨)، والمقصود به:القرآن كما ذكره القرطبي(٢٩).

لكنّ التدبّر هنا لم يرد مع شيء غير القرآن الكريم بوصفه ميدانا يعمل فيه العقل والفكر، ولذلك كان التدبّر فيه شأن فئة معينة من الناس؛ ففي سورتي: النساء ومحمد -وهما مدنيتان- ورد التدبّر في سياق الحديث عن المنافقين. وفي سورتي: المؤمنون وص -وهما مكيّتان- ورد التدبّر في سياق الحديث عن الكافرين. والجامع بين هذين الصنفين: جهلهما المطبق في تقدير الأمور وحسبتها، وما تؤول إليه نهاياتها. والصنفان كلاهما قد آثر الحياة الدنيا على الآخرة. وكلاهما قد كذّب بإخبارات القرآن من شؤون الدنيا والآخرة، ولو كانوا يملكون ذرّة من عقل لكانت حساباتهم غير ذلك. ولو تفكروا في القرآن أدنى تفكر لأدركوا فساد ظنهم وسوء تقديرهم. إنّ عليهم أن يحسنوا تدبّر القرآن الكريم؛ فقد شهدوا من آياته ما تحقّق على وجه اليقين، شهدوا تنزيله وشاهدوا آياته تتجلّى أمام أعينهم، فقد أخبر القرآن بهزيمة المشركين وقد تحقّق. وكشف كل خبايا المنافقين وقد صدق. ولمّا لم يحسن كل فريق تدبّر ما في هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، ويجهر بالصدق نكس فانتكست عاقبته، فخلد الكافرون في جهنم، وكان المنافقون في الدرك الأسفل منها، وحالهما مثال في الجهل، وذلك بتوجيههم ما لهم من عقل وإدراك إلى أخسّ الأمور باقتناص لذائذ الدنيا وشهواتها، وايثارها على ما عند الله تبارك وتعالى.

٨. مادة ذكر في القرآن الكريم

"الذكر هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ، إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه. والذكر يقال اعتبارا باستحضاره، أو يقال لحضور الشيء القلب أو القول"(٣٠).

وردت هذه الكلمة وما يشتق منها في القرآن الكريم مئتين واثنتين وتسعين مرّة، لكن ليس كلها يفيد المعنى الذي نريده من حيث بيان ما لها من وظيفة في صياغة منهج التفكير، أو بوصفها وسيلة إثارة للعقل كي يعي ويتفكر. إنّ الدراسة تقتضي أن نقف عند كلمة:"التذكّر، والادّكار" التي وردت موظفة في إدراك الحقائق الكبرى الآتية:

- وردت استفهاما استنكاريا في سياق إثبات الوحدانية (انظر: الأنعام:٨٠، النمل:٦٢، الصافات: ١٥٥، الجاثيـــة: ٢٣). إنّ إدراك حقيقة الوحدانية قاب قوسين أو أدنى من قلب الإنسان ووعيه لشدّة اتصالها بالفطرة التي لا تستطيع التنكر لذاتها، "فقصد التذكير كاف في حصول الاعتبار بذلك"(٣١). ومعنى التذكّر هنا على ما ذكر أبو حيان: "الاعتبار والاتعاظ كأنّ علمهم بذلك سابق طرأ عليه النسيان"(٣٢).

- وقد اقترنت ملكة التذكّر بالقرآن الكريم بوصفه ذكرى وتذكرة. واقترنت باتّباعه وما سطّر فيه من آيات وعبر، (انظر: الأعراف :٣، الإسراء: ٤١، الزمر: ٢٧، الدّخان: ٥٨، القمر:١٧،٢٢،٣٢،٤٠، الحاقّة: ٤٢، المدثّر: ٥٤-٥٥، الإنسان:٢٩، عبس:١١-١٢).

-كذلك وظف القرآن التذكر في سياق الحديث عن آيات الله في الآفاق والأنفس ودلالتها على إثبات حقائق الإيمان (انظر: الأنعام:١٢٦، الأعراف:٥٧، النحل:١٣، ١٧، إبراهيم:٢٥، الذاريات:٤٩، السجدة:٤).

- وكذلك وظفها لإدراك آيات الله التشريعية، مثل: تحريم زواج المؤمن بالمشركة وتحريم زواج المشرك بالمؤمنة (انظر: البقرة:٢٢١)، وتحريم أكل مال اليتيم، والعدل في الميزان والقول (الأنعام:١٥٢)، وتجميل الإنسان باللباس، قال تعالى:"قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا (انظر: الأعراف:٢٦، النور:١، ٢٧)، والأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي (النحل:٩٠) والانتفاع بهذه الآيات (انظر: هود:٢٤، غافر: ٥٨)، واستخفاف المستكبرين في الأرض، واستهتارهم بإنسانية الإنسان وكرامته (انظر: هود:٣٠).

- واقترنت بذكر هلاك الأقوام السابقة، والاتعاظ بما حلّ بهم، وإنذار المخاطبين وتخويفهم أن يصيبهم ما أصابهم (انظر: الأعراف:١٣٠، القصص:٤٣، القمر: ١٥،٥١). وانفردت الأنفال بورود التذكر في سياق الجهاد وهو عند الظفر بالكافرين أن يشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذّكرون (الأنفال: ٥٧)، وذلك ليصلوا إلى الحقيقة بتفعيل حواسّهم، وإثارة وسائل الإدراك فيهم، أو بإلحاق الهزيمة بهم، وضرب وجوههم وأدبارهم.

- وإذا كان القرآن قد وظّف هذه الملكة في إدراك سنن الله في الأمم الخالية، فقد وظّفها كذلك في إدراك سنن الله في الأمم الحاضرة؛ ليكون أدعى في استخلاص العبرة والتحقّق منها (التوبة: ١٢٦).

- التذكر ورد في سياق الحديث عن الآخرة وبيان مصيرهم فيها، وإثبات تفرّد الله بالوحدانية، فلو أعمل الإنسان ذاكرته لأدرك أنّ الذي أنشأه سوف يعيده، فليرجع بالذاكرة إلى الماضي ولينظر ماذا كان، وليقلب الفكر في الآتي، أوليس الذي أوجده بقادر على إعادته؟ (انظر: المؤمنون:٨٢-

٨٥، فاطر:٣٧، الواقعة:٦٢).

- إنّ عدم تفعيل الذاكرة وتوظيفها توظيفا ايجابيا يجرّ للإنسان الندم ولات حين مندم؛ لأنّها ستذكر الإنسان بسعيه في الحياة الدنيا (النازعات:٣٥)، لقد فات الإنسان أن يتذكر في الحياة الدنيا، فليتذكر الآن بعد أن زالت كل الحجب والأغشية عن قلبه، ولكنه التذكر الذي لا يزيد الإنسان إلا ألما وعذابا حيث لا يجدي التذكر.

إنّ خطاب القرآن بضرورة تفعيل ملكة التذكر في الإنسان من أجل أن تنشط فتسهم في الدّخول الى العقل والقلب. هذا الخطاب ذو وقع علمي، وأثر نفسي على الإنسان وقلبه، فكأنّه لا يحتاج إلا إلى بذل شيء من الوقوف مع النفس والفطرة ليدرك ملامستها لتلك الحقائق، فالوحدانية مبدأ مغروس في الفطرة، وكون القرآن كلام الله ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وما بثّه الله الخالق في الأنفس والآفاق من سنن وآيات لا يحتاج إلى معارك فكرية ولا إلى صراع مع الطبيعة، إنّها بحاجة فقط إلى قلب ذاكر، وسمع واع. وهكذا تسهم هذه الملكة في استقطاب وسائل الإدراك وتفعيلها بما يعود على الإنسان بالنفع والخير.

٩. مادة جدل في القرآن الكريم

"الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي: أحكمت فتله"(٣٣). والجدل مظهر لتفعيل بعض وسائل الإدراك وتوظيفها من أجل الوصول إلى هدف معين قد يكون إيجابيا وقد يكون سلبيا.

وقد وردت في القرآن الكريم تسعا وعشرين مرّة، ومعظم ورودها كان في سياقات تحمل في طياتها الذمّ والسلبية للتفعيل الخاطئ من الذين كفروا لهذه الوسائل من أجل الدفاع عن باطلهم، فجادلوا في الله وآياته، وفي الحقّ ووضوحه، على نهج من العبثية والزيف والتحريف، والتلفيق والتضليل، والتشويش والمماراة، فالجدال في أكثره فعل شيطاني لتعكير صفو الحقّ، وحجب نور الهداية عن الخلق، لذلك يمكن القول إنّ هذه المادة تمثل السلبية في توظيف آليات الإدراك ومنافذه إلى القلب والسلوك؛ لأنّ فيها إعمالا للعقل بهدف المكر والتضليل، والخداع والتجهيل. إنّها حملة المادية الوثنية إزاء حقائق الوحي المتصلة بعالمي الغيب والشهادة لطمس حواسّ الإنسان ووسائل إدراكه، والعمل على تعطيلها أو تحنيطها.

لكن الجدل المبني على أسس الحقّ وميزان الصدق والفضيلة محمود أو ممدوح لقوله تعالى:" وجادلهم بالتي هي أحسن" (النحل:١٢٥، العنكبوت: ٤٦). فإعمال العقل للتقوّي على إقناع الخصم ودحض شبهته، وبيان أسس التصوّر الحق أمر دعا إليه القرآن الكريم استكمالا لمنهجه في تفعيل وسائل الفهم والإدراك في الإنسان. والجدل بهذا المعنى الإيجابي ورد في سياق الحديث مع أهل الكتاب واليهود منهم خاصّة؛ بسبب ضلالهم الكبير عن معرفة أسس التوحيد الحقّ لله سبحانه.

١٠. مادّة حور في القرآن الكريم

"المحاورة والحوار المرادّة في الكلام"(٣٤). وهو حديث بين اثنين، يتدرّج فيه الفكر من نقطة إلى نقطة أخرى، في جوّ غير مشحون بالصراع والعنف(٣٥).

وردت هذه المادة ثلاث عشرة مرّة في القرآن الكريم، منها ثلاث مرّات في سياق استخدام العقل بوصف الحوار منفذا إلى تجلّي الحقائق في الفهم والإدراك. وقد وردت في سياق الحديث عن قضيتين: إحداهما في سياق إثبات الوحدانية (الكهف: ٣٤،٣٧)، ويظهر هنا أن القضية الأساس التي حازت على كل وسائل الإدراك هي قضية الوحدانية بوصفها نقطة الارتكاز التي تستند إليها الحياة الإنسانية، بل حياة الخلائق كلها.

والقضية الأخرى في سياق إثبات حقّ في مسألة اجتماعية (المجادلة:١).

وسواء في هذه القضية أو تلك فإنّ الحوار وسيلة تستند إلى العقل، وهي منفذ إلى القلب، وتهدف إلى الوصول إلى الحقّ في نهاية المطاف؛ لأنّه لم يظهر في القرآن إلا على لسان ناطق بالحقّ.

١١. مادة سمع في القرآن الكريم

قال الأصفهاني: "كل موضع أثبت الله السمع للمؤمنين، أو نفى عن الكافرين، أو حثّ على تحرّيه فالقصد به إلى تصوّر المعنى والتفكر فيه"(٣٦).

ووردت مشتقات هذه الكلمة في القرآن الكريم مائة وخمسا وثمانين مرّة، ومعلوم أن السمع مدخل واسع للتفكير، ومنفذ مهمّ من منافذ الوعي والإدراك، وسنستعرض سياقات هذه المفردة بوصفها وسيلة إلى التفكر والتعقل والإدراك، ونرى القضايا التي ارتبطت بها من أجل تصوّر المعنى والتفكر فيه:

- السمع صفة لله سبحانه وتعالى ليربي الوازع والرقابة في نفس الإنسان، وهي نعمة أنعم الله بها على الإنسان، وقد شهدت كثير من الآيات القرآنية بذلك، وهو مسؤول عن توظيف هذه الحاسّة لما خلقت لأجله.
- ورد في سياق تحقيق وظيفة السمع للاعتبار بما حلّ بالأمم السابقة (انظر:السجدة: ٢٦، الفرقان:٤٠-٤٤، الحج:٤٦).

– ورد في سياق تحقيق وظيفة السمع للاعتبار بآيات الله الكونية (انظر: يونس:٦٧، النحل:٦٥، الروم:٢٣، القصص: ٧١).

– مسؤولية الإنسان عن هذه النعمة (إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) (الإسراء: ٣٦).

– وردت في سياق ذم سمع غير المؤمنين لعدم الاستجابة لما يسمعون من حقائق الوحي مما أدّى إلى الإنكار عليهم ونفي حاسّة السمع عنهم لتعطيلها، أو لاستخدامها بغير ما تهدف إليه (انظر: الأعراف:١٧٩، الكهف:١٠١، الفرقان: ٤٤، الأحقاف:٢٦، الجاثية:٨، القلم: ٥١).

– ذم السمع السلبي للمشركين وأهل الكتاب الذين يسمعون الحقّ ويأتون بما يخالفه (انظر: البقرة:٧٥، الأنفال:٢١، الأنبياء:٢، لقمان:٧، فاطر:١٤، فصلت: ٤، ٢٦، القلم: ٥١)، وهذا يمثل تحديا لهذه الحاسّة في الإنسان، وتنكرا لما ينبغي أن تؤدّيه من وظيفة في خدمة الإنسان وقضاياه ذات الصلة بغايات وجوده.

– بيان السمع الايجابي الذي يعقبه استجابة لحقائق الوحي سواء من الإنس (انظر: البقرة:٢٨٥، الزمر: ١٨) أو من الجنّ (انظر: الجن:١،١٣، الأحقاف: ٢٩–٣٠).

– وردت في سياق بيان ندم الإنسان على عدم توظيفه هذه الآلة على وجهها الصحيح: "وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير" (الملك:١٠)، بل تحوّل السمع إلى شاهد حقّ على ما اقترفه الإنسان من جحود وإثم (فصلت:٢٠).

والنتيجة أنّ الإنسان مسؤول عن هذه الحواسّ يوم القيامة وما من حاسة منها إلا ويندم الإنسان على إهمالها وعدم توظيفها: "وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير" (الملك:١٠).

فجملة القضايا التي يجب على الإنسان توظيف السمع المتفكر فيها هي: آيات الله في الكون، والاعتبار بما حلّ بالأمم السابقة من هلاك لما تنكبت طريق الحقّ، وامتطت متن الغواية. لكنّ أكثر آيات السمع ورودا كانت في سياق الحملة التي شنّها القرآن على الذين لا يسمعون، وهي تشبه الحملة التي شنّها على الذين لا يعقلون؛ لأن إهمال السمع كإهمال العقل في سدّ منافذ التفكير وقنواته، مما يعني إحداث شلل كليّ في وسائل إدراك الإنسان.

١٢. مادّة بصر في القرآن الكريم

"البصر يقال للجارحة الناظرة وللقوّة التي فيها، ويقال لقوّة القلب المدركة بصيرة وبصر،... ويصح أن يستعار الاستبصار للابصار"[٣٧]. "والبصيرة من معاني العقل عند العرب"[٣٨].

وردت هذه المادّة وما يشتق منها مائة وثمانياً وأربعين مرّة في القرآن الكريم في سياقات متعدّدة، وسنورد من هذه السياقات ما كان منفذه إلى العقل سالكا لصياغة منهج التفكير، وتفعيل وسائل الإدراك في الإنسان، واستغلالها في تأصيل أسس التصور التي بناها كتاب الوحي:

– فقد وردت في سياق بيان أنّ الله سبحانه بصير، ليربي الوازع والرقابة في نفس الإنسان، وأنّ البصر نعمة وهبها الله تعالى للإنسان في آيات كثيرة، وهو مسؤول عن صرف هذه النعمة إلى ما خلقت له في أولى ما يجب أن نتوجّه إليه.

– تحقيق العبرة لأولي الأبصار بانتصار القلّة المؤمنة على الكثرة الفاجرة (آل عمران:١٣)؛ وبثّ الرعب في قلوب الذين كفروا من أهل الكتاب (الحشر:٢)، ومن تبصّر في مدلول هاتين الآيتين يدرك أنّ الله ينصر الفئة المؤمنة، فليعتبر أولو العقل والبصيرة من المؤمنين.

–توظيف القرآن الإبصار في التعرّف على آيات الله وسننه في الآفاق والأنفس كتقليب الليل والنهار (النور:٤٤، القصص: ٧٢)، وسوق الماء الى الأرض الجرز وإخراج الزرع به ليأكلوا منه وأنعامهم (السجدة: ٢٧)، وضرورة التبصّر إذا ما جهل المؤمن عن غير قصد فيعود إلى الحقّ (الأعراف:٢٠١). وهو تبصّر الإنسان المؤمن أمام كل جنوح إلى ما يخالف هدايات الوحي وتشريعاته. وكون الإنسان آية مدعاة للتبصّر في قوله تعالى: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟" (الذاريات:٢١)؛ لانّ ما انطوت عليه النفس الإنسانية من عقل وروح ونفس "كلها مخلوقات لا يستطيع العقل البشري إدراكها والإحاطة بها، فهي وإن كانت من مكونات الإنسان التي بها صار إنسانا، إلا أنّها ليست مادية ولا يمكن حصرها بين فكي الزمان والمكان اللذين لا قدرة للعقل البشري على الإدراك خارج نطاقهما، فهذا في حدّ ذاته أكبر تحدّ يدعو الإنسان للتواضع والإذعان: أن يعجز عن إدراك بعض مكونات نفسه والإحاطة بها"[٣٩]. وهذه أدعى لأن يدرك ويتفهّم ببصيرته أسرار هذا الخلق، ودقّة الصنعة الإلهية فيه.

على أنّ القرآن الكريم "عندما يبيّن آيات خلق السموات والأرض يعقبها بآيات خلق الإنسان، وبيان دقائق النعمة في صورته وبدائع الحكمة في ملامحه، كي لا يتشتت الفكر في آفاق شاسعة، ولا يغرق القلب في كثرة غير متناهية، ولتبلغ الروح معبودها الحقّ دون وساطة"[٤٠].

– مجيء البصائر وهي البيّنات والدلالات والحجج التي جاءت بها كتب الله المنزّلة على نبيّه محمد وموسى عليهما السلام؛ فرسالة القرآن تضمنت بصائر كثيرة شملت كل

جوانب الحياة الإنسانية بهداياتها وتشريعاتها، وهي أعظم من كل المعجزات المادية التي يبحث عنها الماديون(انظر: الأنعام:١٠٤، الأعراف:٢٠٣، الجاثية: ٢٠). وما جاءت به توراة موسى عليه السلام من هدايات وتشريعات (القصص: ٤٣)، وما جاء به موسى عليه السلام من معجزات مادية (الإسراء:١٠٢) كفيل بإيقاف أهل العقل والبصيرة على حقائق الوحي وغاياته. ولا شك في أنّ إبصار هذه الآيات من أنشط وسائل الإدراك وأكثرها فاعلية في نفس الإنسان وأثرا.

– وردت في سياق الإنكار على المشركين عدم توظيفهم هذه الحاسّة لنفعهم، مما يقتضي نفي صفة الإبصار عنهم، وتهديدهم لذلك (انظر: الأعراف: ١٧٩، ١٩٥، ١٩٨، هود: ٢٠، يونس:٤٣، الصافات: ١٧٥، ١٧٩) إنّ وسائل الإدراك حين توظف في الجحود فسيحلّ الهلاك بأصحابها: "ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (الأحقاف: ٢٦). وسحقا لمن وصل الى هذه النتيجة والمصير المؤلم وهو مستبصر (العنكبوت: ٣٨).

– وردت في سياق بيان أنّ البصر سيتحوّل إلى شاهد حقّ على ما اقترفه الإنسان من جحود وإثم (فصلت: ٢٠).

فمجمل القضايا المطروحة للتفكير واقعة في مجال إعمال البصر بهدف التبصّر في هداية الله المبثوثة في آيات كتاب الوحي وفي آيات كتاب الكون انطلاقا من النفس وانتهاء بتقلب الليل والنهار، وهي مظاهر ذات دلالة واضحة على وحدانية الله تعالى وتفرّده في تصريف شؤون الخلق.

١٣. مادّة نظر في القرآن الكريم

"النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يُراد به التأمّل والفحص. وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرويّة، يقال: نظرت فلم تنظر، أي: لم تتأمل ولم تترو"(٤١)، ويشهد له قوله تعالى عن إبراهيم: "فنظر نظرة في النجوم" (الصافات:٨٨). "والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم، يعني: نظر في السماء متفكرا"(٤٢).

وردت هذه المادّة وما يشتق منها مائة وتسعا وعشرين مرّة، وما يهمنا هنا هو تفعيل النظر بوصفه منفذا إلى العقل والتفكير، ووسيلة إلى الوعي والإدراك. وقد وردت مرتبطة بالعديد من الموضوعات الجديرة بالتفكر والتعقّل:

– فقد وظّف القرآن النظر في التأمل في أحوال الأمم السابقة وسنّة الله فيها وما حلّ بها وتحقّق من سنن الله تعالى؛ لتحقيق العبرة والموعظة من تجاربهم (انظر: آل عمران: ١٣٧، الأنعام:١١، الأعراف:٨٤، ٨٦، ١٠٣، يونس: ٣٩، ٧٣، يوسف:١٠٩، النحل: ٣٦، النمل:١٤، ٥١، ٦٩، القصص:٤٠، الروم:٩، ٤٢، فاطر:٤٣،٤٤، الصافات:٧٣، غافر:٢١، ٨٢، الزخرف:٢٥، محمد:١٠). لقد كانت عاقبتهم أليمة بسبب موقفهم من آيات الله وهداياته المتمثل في الجحود، وبسبب تكذيبهم وإفسادهم وإجرامهم وظلمهم ومكرهم، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم، وليوظفوا عقولهم الناظرة، أو أنظارهم العاقلة إلى عاقبة تلك الأمم.

– توظيف النظر لإدراك ما في أحوال الخلق وآيات الله في ملكوته خلقا وتصريفا للدلالة على وحدانية الله وتفرّده في الخلق والأمر، فقد صرّف الله تعالى آياته بكل أسلوب ليؤمنوا (الأنعام:٤٦، ٦٥)، وجعل ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ميدانا آخر للنظر(انظر: الأعراف:١٨٥، يونس:١٠١)، وإحياء الأرض بعد موتها للدلالة على إحياء الموتى (الروم:٥٠)، وضرورة السير في الأرض للتعرّف على كيفية بدء الخلق للدلالة على إعادته يوم القيامة (العنكبوت:٢٠)، والنظر في السماء وبنائها وتزيينها، والأرض ومدّها وإلقاء الرواسي فيها وإنبات كل زوج بهيج من الثمار وإنزال الماء المبارك من السماء وإنبات الجنات به والنخل وحبّ الحصيد رزقا للعباد وإحياء الأرض به كذلك الخروج (ق: ٦-١١)، والنظر الى الإبل كيف خلقت، والى السماء كيف رفعت، والى الجبال كيف نصبت، والى الأرض كيف سطحت (الغاشية: ١٧-٢٠).

– توظيف النظر لمعرفة حكمة الله في تفضيل بعض الخلق على بعض في الدنيا (الإسراء:٢١).

ويلاحظ هنا أنّ أغلب مادة النظر منصرفة الى الاعتبار بسنن الله في الأمم السابقة والتجربة الإنسانية مع رسالة الوحي، هذا الميدان الأول، أما الميدان الثاني فللاعتبار بما بثه الله تعالى في الأنفس والآفاق من سنن بوصفها دالّة على أحدية واضع هذه السنن وصمديته جلّ شأنه.

١٤. مادّة فقه في القرآن الكريم

قال الراغب: "الفقه هو التوصّل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخصّ من العلم"(٤٣)، ودلالته اللغوية تعني: الفهم، وقد يقترن بالفطنة(٤٤). وهو نتاج لتفعيل وسائل الإدراك في الإنسان، فهي نتاج عقل سليم وقلب سليم، وثمرة حواس سليمة.

وقد وردت هذه المادّة عشرين مرّة في القرآن الكريم في سياقات متعدّدة:

– فقد وظفها القرآن في فهم تصريف الله لآياته المسطورة في كتاب الوحي بأكثر من أسلوب وعلى أكثر من وجه، وكذلك فهم تفصيل آياته المنظورة في كتاب الكون الذي لا يقل إعجازا عن كتاب الوحي (الأنعام: ٦٥،٩٥-٩٨). وهذه قضية دقيقة تحتاج إلى فهم لبيب، وعقل رشيد.

– ووظفها القرآن في سياق الحملة التي شنها على الذين لا يفقهون ولم يحسنوا الوصول بما متعهم الله به من وسائل الوعي والإدراك إلى فهم سنن الله تعالى وآياته في كتابيه المنظور والمسطور، أولئك هم الذين أشركوا والذين كفروا (انظر:الأعراف:١٧٩، الأنفال:٦٥، هود: ٩١)؛ ولأجل هذا حرمهم الله جميعا من نور الهداية، وحجبهم عن فهم آيات القرآن الكريم بأن ضرب على آذانهم، وطبع على قلوبهم وجعل عليها أكنّة (انظر: الأنعام:٢٥، الإسراء:٤٦، الكهف: ٥٧).

أما الفئة التي شنّع القرآن الكريم عليها واصفا إيّاها بعدم الفقه، بل نفى الفقه عنها بالكلية، فهي فئة المنافقين، فقد وردت فيهم ثماني آيات من مجموع إحدى عشرة آية (انظر: النساء:٧٨، التوبة:٨١، ٨٧، ١٢٧، الفتح:١٥، المنافقون:٣، ٧، الحشر:١٣)، وسرّ ذلك طبيعة المنافقين الذين لا يبالون بعقيدة، ولا يثقون بحساب ولا عقاب، ويلهثون وراء مكاسب مالية، ومراكز دنيوية.

– ضرورة التفقه في الدّين (التوبة: ١٢٢).

فالميادين التي وجّه القرآن الفقه إليها تتمثل في آيات الله المبثوثة في الأنفس والآفاق، وآياته المسطورة في هذا الكتاب. ولذلك أنكر على أولئك الذين لم يستغلوا هذه الملكة أو يوظفوها في ما يعود عليهم بالخير والنفع، وأي نفع وخير؟ إنّه كل ما من شأنه أن يفصح ويسفر عن حقائق هذا الوجود، وارتباط حياة الإنسان بها من حيث تشكيلها للأسس والقواعد التي ترتكز عليها هذه الحياة.

في حين ان الفقه بالدّين لم يرد إلا في آية واحدة، مما يعني أن الفقة لا ينبغي أن ينصرف أو يقتصر على المعنى الاصطلاحي وهو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، فمادة الفقه القرآنية أوسع من ذلك بكثير، إنها تشمل فهم سنن الله الكونية في الأنفس والآفاق، وفهم التاريخ الإنساني، وفهم الكون والطبيعة، وفهم الإنسان وآيات الله تعالى فيه.

١٥. مادة سأل في القرآن الكريم

السؤال "استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى المعرفة"(٤٥). وهو عملية تصوّر ما يحيك في صدر الإنسان من التشوّف إلى معرفة شيء ما، وتبيّن هذه العملية أولويات الإنسان واهتماماته، وهي لأجل ذلك حرية بالدرس والفهم.

لقد كانت مادة السؤال مطروحة في القرآن الكريم على سبيل التعليم والتربية لمجتمع المؤمنين إثباتا لحقائق الشريعة، وتثبيتا لها في نفوس الناس، وترسيخا لمعانيها في أذهانهم، إنّه توجّه بالسؤال إلى الوحي بوصفه المرجعية الأساس التي يستند إليها الإنسان في معرفة شؤون حياته من مبدئها الى منتهاها. وهي شؤون تستحق أن يسأل عنها الإنسان، ويكون منها على نور وبصيرة. ويقيناً يعدّ هذا التوجّه فعلاً حسنا للعقل الراشد المتفكر الذي يهمّه أن يعرف هذه الأمور ذات الجدوى بالغة الأهمية.

لقد وردت مادّة "سأل" في القرآن الكريم مائة وتسعا وعشرين مرّة، والسؤال يعبّر عن اهتمام الإنسان بما يشغله، أو بما ينبغي أن يشغله من شؤون حياته العاجلة والآجلة، وسنقتصر هنا على بيان هذه القضايا، أعني: توجّه الإنسان إلى مرجعية الوحي ليدرك ويعي ويفهم ما يريد، بوصف السؤال نتاجاً حسناً لتفعيل ملكات الإدراك.

– فقد وردت في سياق السؤال عن الله تعالى من حيث إجابته دعاء الدّاعين، وتلبيته تضرّع العابدين (البقرة: ١٨٦). وهو واحد من أهم المجالات التي ينبغي أن يسلكها الإنسان في حياته، ويلهث من أجل معرفة معاملة الله تعالى للخلق عامّة، والإنسان على وجه الخصوص.

–ووظّف القرآن السؤال – في حقّ المؤمنين – في سياق الاستيضاح عن قضايا تشريعية كالسؤال عن الأهلّة، والنفقة، والقتال في الشهر الحرام، والخمر والميسر، واليتامى، والمحيض، وما أحل لهم، وعن الأنفال (انظر: البقرة: ١٨٩، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، المائدة:٤، الأنفال:١)، أو تعليمهم بسؤال الله من فضله (النساء:٣٢) وكلها آيات مدنيات بيّنت أولى ما ينبغي أن يُسأل عنه.

– وورد في سياق سؤال الماديين على سبيل الشغب والتشويش عن الساعة وما يتصل بها من أشراط (انظر: الأعراف:١٨٧، الأحزاب:٦٣، النازعات:٤٢، طه:١٠٥، الذاريات:١٢، القيامة:٦، النبأ:١)، أو السؤال عن الروح (الإسراء: ٨٥) والسؤال عن ذي القرنين (الكهف:٨٣).

– توجيه الإنسان ونهيه عن السؤال عما لا ينبغي، كسؤال رؤية الله سبحانه (البقرة: ١٠٨) أو السؤال عن الانتفاع بعمل الأمم السابقة "تلك أمّة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون" (البقرة:١٣٤،١٤١) بمعنى "تخييب المخاطبين وقطع أطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الأمّة الخالية"(٤٦)، أوالسؤال التعجيزي الذي يوجّهه الضّالون الى

الأنبياء بهدف إحراجهم (النساء: ١٥٣)، أو استباق الوحي بالسؤال عن أشياء بهدف المعرفة، مما يسبّب حرجا ومشقّة لمجتمع المؤمنين (المائدة: ١٠١-١٠٢)، والنهي عن السؤال المنافي للحكمة أو الذي لا يعلم صاحبه يقينا أن حصوله صواب (هود: ٤٦)، كما ذكر أبو السعود(٤٧).

- وعن كل حقائق الشريعة وآيات الله المسطورة والمنظورة، وتفاعل الإنسان معها، وموقفها منها سوف يُسأل الإنسان. وعن النعيم الذي بين يديه: الماديّ والمعنوي سوف يسأل (انظر: الأعراف:٦، الحجر:٩٢، النحل:٥٦، ٩٣، الإسراء:٣٦، العنكبوت:١٣، الصافات:٢٤، الزخرف:١٩، ٤٤، التكاثر: ٨).

فالقرآن الكريم يحدّد هنا مسؤوليات الإنسان تجاه ما أنزل إليه من تشريعات وهدايات؛ لئلا يزهد فيها أو يهمل شأنها. وتحديد هذه المسؤوليات هو تحديد للأولويات التي يضعها القرآن الكريم أمام العقل الرشيد، والقلب الواعي، بل أمام وسائل الإدراك كلها.

١٦. مادة هدى في القرآن الكريم

"الاهتداء يختصّ بما يتحراه الإنسان على طريق الاختيار إما في الأمور الدنيوية أو الأخروية"(٤٨). وتفعيل وسائل الإدراك وتوظيفها من أجل الاهتداء إلى أمر ذي بال يتصل بحياة الإنسان وقضاياه الجوهرية هو مما سلكه القرآن الكريم من منهج بهدف وضع غايات وأهداف وجني ثمار عمليات التفعيل تلك لوسائل الإدراك.

وردت هذه المادّة وما يشتق منها في القرآن الكريم ثلاثمائة وست عشرة مرّة، ويهمنا هنا ما وضعه القرآن من أمارات للعقل كي يتفكر ويتدبر ليهتدي للتي هي أقوم، ويتّبع التي هي أحسن، أما سياق ورودها:

- فقد وردت في سياق آيات تتحدث عن أمّهات القضايا كتحويل القبلة التي عقّب القرآن عليها بقول الله تعالى"ولعلكم تهتدون" (البقرة:١٥٠)، واتّباع النبي وهو ما ختم بالتعقيب نفسه (الأعراف:١٥٨) والمؤاخاة بين المؤمنين التي ختم الحديث عنها بقوله تعالى: "لعلكم تهتدون" (آل عمران:١٠٣). فالقبلة أظهر المظاهر الدّالة على هوية المؤمن واهتدائه، واتّباع النبيّ من أقوى الأسباب للثبات على هذه الهوية، والمؤاخاة أبرز مظهر لوحدة الأمّة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وهي مظاهر بقاء الأمّة وديمومتها بل تميزها عن سائر الأمم.

- ووظّفها القرآن في سياق الحديث عن سنن الله تعالى وآياته ومظاهر قدرته وإبداعه في الأرض؛ حيث جعلها مهدا، وألقى فيها رواسي -لئلا تميد بمن عليها- وأنهارا، وجعل فيها فجاجا سبلا "لعلهم يهتدون" (النحل:١٤-١٥، الأنبياء: ٣١، الزخرف:١٠). وقد ذكر الفخر الرازي قولين في الاهتداء، أحدهما: ليهتدوا إلى البلاد. والثاني: ليهتدوا إلى وحدانية الله تعالى بالاستدلال، ولم يمنع أن يحمل اللفظ على المعنيين كليهما(٤٩). وهو الأوفق بسياق الآيات.

إذن، فحكمة الله تعالى مبثوثة في آياته التشريعية وآياته الكونية، وتصريف هذه الآيات في الكون والقرآن لا شك في أنّه خارج عن إمكانات الإنسان وقدراته المادية والمعنوية، فظهر أنّها فعل الله سبحانه الذي يجب أن تهتدي إليه العقول والقلوب، وتأنس بذكره الأفئدة والنفوس. فتفعيل وسائل الإدراك من هذه الجهة أدّى إلى قضية أساس تستند إليها كل مقومات الحياة الإنسانية. لكن القرآن -مع هذا- لم يهمل شأن الاهتداء إلى سنن الحياة الدنيا، وتطويع ما سخّر الله تعالى للإنسان فيها من مصالح ومنافع، فهي هداية لعمارة الأرض على أسس الوحي وتوجيهاته؛ كما انها هداية لمعرفة الله تعالى والإقرار له بالوحدانية.

١٧. مادّة "يقن"في القرآن الكريم

اليقين -كما ذكر الراغب-: "سكون الفهم مع ثبات الحكم"(٥٠)، "أو هو الاعتقاد المطابق للواقع الذي لا يقبل الشك ولا الزوال؛ فهو اعتقادان: اعتقاد أن الشيء كذا، واعتقاد أنّه لا يمكن أن يكون إلا كذا. هذا الاعتقاد الجازم يكون في غير الحسيات والضروريات، فالجزم بخبر الصادق، والاعتقاد المبني على الأدلة والأمارات يسمى يقينا"(٥١). والنبأ اليقين: الحقيقة القاطعة (النمل: ٢٢). وأنباء القرآن كلها يقينية. واليقين نتاج نهائي ومحصلة أخيرة لتفعيل وسائل الإدراك ومنافذه الى القلب والعقل؛ إذ لا ينبعث بعد ذلك ريب ولا قلق، ولا شكّ ولا أرق، لوضوح المعاني واستقرارها في النفس، وثباتها في القلب. والتوصّل إلى هذه الدرجة من الطمأنينة والسكينة والاستقرار لا يكون إلا بعد تفعيل وسائل الإدراك كلها، ويأتي اليقين -كما الهداية- نتيجة نهائية مثمرة لهذا التفعيل الحكيم الراشد.

لقد وردت مادة يقن ومشتقاتها في القرآن الكريم ثمانياً وعشرين مرّة، ولقد أسهمت كذلك بما يجب على العقل انتهاجه من سبيل قويم للتفكير، وقد جاءت هذه المادّة في سياقات متعدّدة:

- مجيؤها في سياق الحديث عن تحقّق وعد الله سبحانه

وتعالى وصدق ما أخبر به لتكون وصفا للمؤمنين بالآخرة (انظر: البقرة:٤، النمل:٣، لقمان: ٤)، وللمؤمنين بلقاء ربّهم (الرعد: ٢)، أو تحقّق وعد الله وقدره بالموت أو النصر (الحجر: ٩٩)، وفي سياق بيان عدّة خزنة جهنم من الملائكة، وهي من حقائق الغيب (المدثر:٣١) فكل تلكم القضايا هي حقائق يقينية، فيجب أن يرتقي الإنسان بوسائل إدراكه فيها إلى درجة اليقين الذي لا زيادة بعده، وإلاّ فهو إزاء تحقّق وعد الله ووقوعه من الذين لا يوقنون (النمل: ٨٢).

- ورودها في سياق تسجيل التقصير على الماديين الذين لم يرتقوا في مداركهم - مع وضوح حقائق الغيب - إلى اليقين إما عن جهل (الروم:٦٠، الجاثية: ٣٢)، أو عن تجاهل (النمل: ١٤)، والنعي عليهم لأجل ذلك (الطور:٣٦)، ويبيّن القرآن أنّ اليهود كانوا من الذين اعتدوا على حقائق الغيب، ومن الذين استخفوا بها (البقرة:١١٨) مع أنّ التوراة قد تنزلت عليهم.

- وردت في سياق نصب الآيات وتبيينها منارة للقوم الموقنين (البقرة:١١٨)، وتحفيز غيرهم على التيقن مما بيّنه القرآن من حقائق الوحدانية (الدّخان: ٧)، والآيات الباهرة المبثوثة في كتاب الكون، المسطورة على صفحاته؛ ففي خلق الإنسان وما يبثّ من دابّة آيات لقوم يوقنون (الجاثية:٤)، وفي الأرض آيات للموقنين (الذاريات:٢٠)، وإيراء إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين (الأنعام: ٧٥).

- وردت في سياق بيان أحقيّة شريعة الله وحكمه بالاتّباع، ونبذ حُكم الجاهلية فهي محض أهواء (الجاثية:٢٠ المائدة:٥٠). وهذا الأمر لا يصلح فيه إلا اليقين، فكأنّه من أولى الأمور وأجدرها بهذه المرتبة، أعني: الإدراك اليقيني، ولأنّه لا يمكن بحال مقارنة حكم الله وشريعته بأهواء البشر وأحكامهم.

- وفي كل الأحوال يجب أن يرقى الإنسان إزاء هذه الحقائق والآيات إلى علم اليقين (التكاثر:٥)، وعين اليقين (التكاثر:٧) بل إلى حقّ اليقين (الحاقّة:٥١، الواقعة: ٩٥).

- توظيفها في سياق بيان ندم الماديين يوم القيامة على عدم ارتقائهم بمداركهم إلى هذا اليقين (المدثر:٤٧).

- اليقين يقود إلى الإمامة في الدنيا والدّين (السجدة:٢٤).

ويلاحظ هنا أنّ اليقين مرحلة متأخرة من إعمال العقل والحواسّ، فهي مرحلة الوصول إلى العلم القطعي، مع سكون النفس إلى هذا العلم وعيا وإدراكا واتّباعا. وأكثر ما ورد هذا كان في سياق ما يتعلق بالغيب من تحقّق وعد الله تعالى وتحقق آياته، والشيء الذي يمكن أن يوصف بالتميّز في هذه المفردة كونها مرتبة توصل إلى الإمامة في الدّين والدنيا.

المبحث الثاني

منهج القرآن في توظيف وسائل الإدراك في الإنسان

هناك ملامح عامّة تحدّد آثار صياغة منهج التفكير من خلال منهج القرآن في توظيف وسائل الإدراك في الإنسان كما تبدو من مجموع المفردات التي بثّت في القرآن الكريم؛ حيث زاد مجموع الآيات التي فيها استثارة للعقل والتفكير في القرآن الكريم عن الألف آية، وكل آية منها تدعو الى تفعيل وسيلة من وسائل الإدراك في الإنسان؛ لأن صلاح هذه الوسائل من حيث استقبال هدايات الوحي هو المؤهّل الحقيقي لتكليف الإنسان. لقد مثّلت هذه الوسائل أجهزة إنذار للإنسان كي تقيه من الغيّ والانحراف، ولكي لا يتيه في مجاهيل هذا الكون، فيقع في عبادة كثير من مظاهره. أمّا أبرز الملامح المنهجية لهذا التفعيل فتتلخص في النقاط الآتية:

أولا: كان تفعيل القرآن الكريم لوسائل الإدراك في الإنسان وإثارة حواسّه من أجل الوصول إلى الحقائق القطعية التي ترشد إلى منهج مستقيم في التفكير، وتؤسس هذا المنهج على قاعدة الإيمان المطلق بالله الواحد الأحد الفرد الصمد. وهي القاعدة التي تضافرت في بنائها نصوص الكون وآياته، ونصوص الوحي ومعجزاته لتصل بأقل الناس وعيا وإدراكا إلى درجة اليقين. ولقد شمل هذا التفعيل كل مدخل إلى القلب ومنفذ إلى العقل حتى لم يترك أحدا دون حظ أو نصيب من بيان القرآن وخطابه.

ثانيا: الميادين التي وجّه القرآن العقل والحواس ومنافذ الإدراك اليها هي عالم الشهادة: الكون وما فيه من آيات وسنن، والإنسان وما له من تجارب ومواقف من كل حقائق الإيمان التي جاء بها أنبياء الله تعالى على وجه الأرض؛ لنتمكن من القول بعدها إنّ تفعيل القرآن الكريم وسائل الإدراك يهدف إلى فهم الكون في ضوء هداية الوحي، والاقتران بين فهم الوحي وحقائق الكون وسنن الله فيه، من حيث استحالة فهم أحدهما-الوحي والكون- بمعزل عن الآخر. "إنّ حديث القرآن عن الكون-عالم الشهادة- شغل حيزا كبيرا لا نظير له في كتب الديانات الأخرى، وكان ذلك من حكمة الله في مراعاة أقوال المخاطبين ومراحلهم العقليــة"(٥٢). لقد فتح القرآن باب الكون على مصراعيه ليُعمل الإنسان فيه كل وسائل إدراكه من أجل الوصول إلى حقائق كتاب الوحي، وهو باب لا يستطيع الإنسان أن يلهو عن دخوله من أجل الوصول إلى تلك الحقائق.

إنّ التعرّف والاستثمار لما سخره الله للإنسان -السنن التسخيرية- يهدف إلى التأكيد على ما للتجربة والمشاهدة من

أهمية بوصفهما مصدرين من المصادر الأساسية للمعرفة شريطة أن تستند هذه التجربة والمشاهدة على قاعدة الإيمان المطلق بالله تعالى، هذا أولا، وأما ثانيا فالإنسان معنيّ بالتفكير -في الماديات- في كيفية توجيه هذه السنن وتسخيرها لنفع الإنسان ومصلحته(٥٣).

أما سنن الله تعالى في الإنسان وما لهذا الإنسان من نشاط ومواقف من حقائق الإيمان فهو تأصيل من القرآن الكريم لعلوم الإنسان والاجتماع من حيث ارتقاء الإنسان إلى أوج مظاهر القوّة، أو تسلل الضعف والهلاك إليه على مستوى الفرد أو الأمّة بحسب ما يتخذه من موقف من تلك الحقائق الايمانية.

إنّ هذه السنن المتعلقة بالكون والإنسان، وكل ما أخبر القرآن به من وعود أو حقائق غيبية "تتفاعل في واقع الحياة وتتداخل كلها معا متآلفة متناسقة متوازنة دون تفاوت أو فطور، وتصنع تأثيرها المشترك -بإذن ربّها- على الحياة والكون في نسيج عالم الأسباب؛ "فالأسباب هي ناتج التفاعل والتراكب والتوازن والتناسق بين كل السنن والفطر والوعود والأخبار، سواء من عالم الشهادة أو عالم الغيب، وهو المظهر المؤثر والفاعل لجميع هذه القوانين الكلية"(٥٤).

ثالثا: إنّ هذه المنهجية حدّدت أولويّات التفكير لدى العقل الإنساني، وبيّنت له ما يجب عليه التفكير به، فأين العقل الإنساني اليوم الذي هدف فيه الإنسان إلى إرهاب الإنسان والهيمنة عليه وإذلاله وقهره؟ وأين هذا العقل الذي تفنّن في ابتكار وسائل اللهو واللعب وصرف جلّ عقله إلى ذلك غافلا عن قضاياه الكبرى؟ وكيف يرضى الإنسان بتلك الحياة ويقنع؟ وأين هذا العقل الذي بلغ مبلغا عظيما في الإحاطة بالذرّة وغفل غفلة تامّة عن وحدانية خالق الذرّة والمجرّة وتصرّفه في ملكه؟ إنّه يقينا عقل غير راشد؛ لأنّه قد اشتغل فيما لا ينبغي، أو فيما يعود عليه بالهلاك والدمار، فحدّ من نشاط العقل أن يصل إلى أرقى مراتب المعرفة، وهي معرفة الله سبحانه وتعالى. وما قيمة معرفة الإنسان وهو يطلق مركبة صاروخية نحو الفضاء وهو - مع ذلك- في جهل مطبق من حكمة خلقه، وغفلة تامّة عن غاية وجوده؟!

لقد ذم القرآن الكريم "الشلل المعرفي" عند أولئك الذين انحصر تفكيرهم في الدنيا واقتصر عليها، في قوله تعالى: "يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحقّ وأجل مسمّى وإنّ كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون"(الروم: ٧-٨)؛ والسّبب أنّ معرفتهم بالحياة الدنيا معرفة منبتّة لا غاية لها ولا هدف، ولا قيمة لها ولا وزن؛ إنّها معرفة القشور دون القدرة على الوصول إلى اللباب، إنّ الإنسان حين يغفل عن آخرته التي هي صمام الأمان لحياته الدنيا يكسب شقاء أبديا، ويرث تعاسة خالدة، فما أغنت عنه معرفته بالدنيا شيئا، ولذلك كانت جديرة بأن توصف هذه المعرفة بالشلل.

رابعا: لقد تبيّن من هذه المنهجية أنّ أسلوب القرآن في الإثارة والتوجية للعقل الإنساني، وتحريك وسائل التعقل والإدراك في الإنسان قد قام أساسا على الفطرة، واستند إليها، وتأصل على أساس الوحدانية، وتناسب مع جميع العقول. فنجد دائما بيانا للقرآن ونعيا وتهديدا لأولئك الذين لم يحسنوا توظيف وسائل إدراكهم وحواسّهم، وبيان مبلغ ندمهم يوم القيامة حين يدركون أن حقائق الإيمان حقّ، وأنّ الندم حينها لا ينفع الإنسان شيئا.

لقد حمل القرآن كثيرا على الماديين الذين أوتوا وسائل الإدراك ولم يحسنوا توظيفها فوصفهم بالصّم البكم العمي الذين لا يعقلون، ونزل بهم من مستوى الإنسانية إلى دركات الحيوانية (انظر:البقرة: ١٨، ١٧١، الأنعام:٣٩، الأنفال:٢٢، الإسراء:٩٧). والسبب غفلتهم التامّة عن معرفة أهم مرتكزات حياتهم، وغاية تلك الحياة وهدفها، وما يصلح تلك الحياة وما يفسدها من نظم وتشريعات، وقوانين وهدايات.

إنّ المنهج الذي سلكه القرآن في توظيف وسائل الإدراك من أجل صياغة منهج التفكير اعتمد على تحريك هذه الوسائل كلها أو بعضها أمام قضية واحدة أو عدّة قضايا مجتمعة في آية واحدة، ولبيان ذلك نضرب أربعة أمثلة في قضايا جوهرية متعدّدة لتوضيح هذا المنهج القرآني:

المثال الأوّل: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها

استثار القرآن العقل واستدعى أولي النّهى والألباب وطلب إعمال الفكر وتوظيف السمع والنظر وأثار ملكة التذكّر للتعرّف على آية واحدة من آيات الله في الكون، هذه الآية هي إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها؛ فقد اشتركت كل تلك الوسائل من أجل إدراك هذه الآية والوقوف على ما تهدف إليه من غايات وحكم:

- لقد وظّف القرآن العقل لإدراك هذه الآية في عدد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: "إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"

(البقرة: ١٦٤)، (وانظر: العنكبوت:٦٣، الروم:٢٤، الجاثية: ٥). والمقصود بالتعقّل هنا تأمل العلاقات السببية القائمة بين ظواهر الطبيعة، وإدراك طبيعة هذه الارتباطات القائمة بين الظواهر كمعطى خارجي لا علاقة له بالوجدان، وهذا الإدراك يورث معرفة عقلية منطقية(٥٥). وهذه واحدة من ثمرات هذا التوظيف.

– واستثار القرآن أولي النّهى واستدعاهم للوقوف على هذه الآية لتكون لهم منارة تهديهم الى معرفة الله تعالى في قوله سبحانه: "الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتّى. كلوا وارعوا أنعامكم إنّ في ذلك لآيات لأولي النّهى" (طه: ٥٣-٥٤). ومن عرف ربّه ينهاه عقله عن اقتراف ما يسخطه.

– وجعل الله تعالى هذه الآية ذكرى لأولي الألباب، أي: للخلّص من العقلاء كما هي آية لكل ذي عقل، وآية لكل متفكر، قال تعالى: "ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج منه زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرّا ثم يجعله حطاما إنّ في ذلك لذكرى لأولي الألباب" (الزمر: ٢١).

– ووظّف القرآن ودعا إلى التفكر في هذه الآية العظمى من آيات الله تعالى:" هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون" (النحل: ١٠-١١).

– كما وظّف القرآن ملكة أخرى من ملكات الإدراك وهي النظر في حال هذه الآية، قال تعالى:"أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج" (ق: ٦ -١١) وانظر: (الروم:٥٠)، ليقيس صاحب هذا النظر الحياة الأخرى على الأولى فيؤمن بأن البعث والنشور حقّ لا مرية فيه.

– كما وظّف حاسة السمع التي تتطلب الإدراك ومن ثمّ الاستجابة لآيات الله تعالى إيمانا وتسليما، وانّ تحقيق وظيفة السمع وتفعيلها يؤدي للاعتبار بآيات الله الكونية، قال تعالى: "والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآية لقوم يسمعون" (النحل: ٦٥). "والمراد سمع القلوب لا سمع الآذان؛ لأنّ من لم يسمع بقلبه فكأنّه أصمّ"(٥٦). ولأنّ وظيفة السمع إيصال الحقّ الى القلب، فعليه أن يؤدّي هذه الأمانة بصدق وإخلاص.

– كما وظّف القرآن ملكة التذكر لإدراك هذه الآية وعدم الغفلة عنها، قال تعالى:" وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميّت، فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكّرون" (الأعراف:٥٧). ولشدّة التلازم بين إحياء الأرض وإحياء الإنسان بعد موته استدعى القرآن ملكة التذكر؛ لأنّ الأمر لشدّة وضوحه لا يتطلب أكثر من ذلك.

لقد أثار القرآن هنا واستحثّ خمساً من ملكات التفكر، واستحثّ أولي النّهى والألباب كذلك ليقفوا على اختلاف مداركهم وليصلوا إلى حقيقة الإيمان الكامل، فحين دعا القرآن العقل ليمثل أمام هذه الآية كان المطلوب منه أن يدرك أنّ الله تعالى هو الواحد المتفرّد بالخلق، وهو الرازق العليم المتصرّف في ملكه، إضافة إلى إدراك أنّ هذه الآية مظهر رحمة بالإنسان، لتستقيم حياته على الأرض.

وحين يدعو أولي النّهى للوقوف أمام هذه الآية فلكي يعلموا أنّ تصرف الله تعالى في ملكه يتم وفق علمه تعالى المطلق.

وحين يدعو أولي الألباب يكون المطلوب منهم أن يدركوا أن البعث والنشور أمر متحقّق كما تحقّق إحياء الأرض بعد موتها، وللغاية نفسها يدعو القرآن النظر المعنيّ بالاستدلال ليصل إلى أنّ حقيقة البعث والنشور لا شكّ فيها، وإذا كان إحياء الأرض بعد موتها مظهر رحمة بالإنسان، فكذلك إحياء الموتى لإتمام نعم الله على المؤمنين، وتحقيق عدله تعالى في الخلق أجمعين. وللهدف نفسه والغاية نفسها يدعو القرآن ملكة التذكّر وحاسّة السمع؛ لتتعدّد منافذ الحقّ إلى القلب، وتقوم الحجّة على الإنسان من كل وجه، وليدخل الإنسان إلى حقيقة الإيمان من أيّ باب يريد من أبواب الكتابين: الكتاب المسطور أوالكتاب المنظور.

وفي سياق تعداد نعم الله على الإنسان يدعو القرآن ملكة التفكر ويوظّفها من أجل الإقرار بالوحدانية؛ فلكثرة هذه النعم ولشدّة حاجة الإنسان لها عليه أن يخجل من كفره، ويستحي من جحوده وشركه.

وأمام هذا التفعيل القرآني لكل وسائل الإدراك في الإنسان فإنّ نهاية الطريق هي الوصول إلى الهداية عبر تلك الحقائق المطلقة في الوجود: الله واحد، والكون دالّ على خالقه."إنّ الاعجاز الباهر الظاهر في النظام والتناسق والاطراد المشاهد في كتاب الكون برهان على التوحيد، يظهر بوضوح تام كالشمس الساطعة أنّ الكون وما فيه ليس إلا آثار قدرة

مطلقة، وعلم لا يتناهى، وإرادة أزلية"(٥٧).

وكلما كان الوقوف على أسرار الكون أعمق كان طريق الإيمان معبّدا مذللا، قال الرازي: "إنّ كل من كان أكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان أكثر علما بجلال الله تعالى وعظمته"(٥٨).

إنّ هذه الاستثارة لوسائل الإدراك ما هي إلا دواء لمرض الغفلة والشكّ اللذين يعتريان الإنسان، "ولا بدّ من المداواة بالتفكر بالآيات، وملازمة الطاعات، كي يخرق حجاب الشكوك والغفلات، وتتضح حلاوة النجاة من مرارة الضلالات، وتتكشف لذّة المناجاة"(٥٩).

إن بسط هذه الآيات" يصوّر درجة رحمة القرآن وشفقته على جمهور العوام، ومراعاته لبساطة أفكارهم، فانظر كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة المسطورة في جباه السموات والأرض فيقرؤهم الحروفات الكبيرة الظاهرة التي تقرأ بكمال السهولة بلا شبهة كخلق السموات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإحياء الأرض وأمثالها"(٦٠).

"ومن هذا الوجه كل من كان حظه في العلوم أوفر، كان نصيبه من علم القرآن أكثر، ولذلك إذا ذكر تعالى حجة إلى ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرّة بإضافتها إلى أولي العقل، ومرّة الى أولي العلم، ومرّة الى السامعين، ومرّة الى المفكرين، ومرّة إلى المتذكرين، تنبيها على أنّ بكل قوّة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها"(٦١).

المثال الثاني: التفكر في القرآن الكريم كتاب الوحي

لنستعرض منهج القرآن في إثارة وسائل التفكير في الإنسان وملكات التعقل عنده، وكيف وجهها إلى القرآن الكريم بوصفه كتاب الوحي ومفتاح كتاب الكون، بهدف الوصول الى الهداية المتمثلة في حقائق الايمان، وأسس التصوّر الحق لله الخالق والكون المخلوق، والإنسان الخليفة، ولأهمية التفكر في القرآن بيّن أبو حامد أنّ طريق الفكر يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة، وأنّ مجامع الفكر لا يوجد فيها أنفع من قراءة القرآن بالتفكر، فإنّه جامع لجميع المقامات والأحوال وفيه شفاء للعالمين"(٦٢).

قال رحمه الله تعالى: "والإنسان بخاصية التفكر التي ميّز بها يصل الى معرفة الله بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس؛ إذ بها يدخل العبد زمرة الملائكة المقربين، ويحشر في زمرة النبيّين والصدّيقين مقرّبا من حضرة ربّ العالمين، فليست هذه المنزلة للبهائم ولا لإنسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فإنّه شرّ من البهائم بكثير؛ إذ لا قدرة للبهيمة على ذلك، وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها، فأولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا"(٦٣).

- يوجّه القرآن العقل ويوظّفه لتفهّم حكمة نزول هذا الكتاب بلسان عربي مبين، قال تعالى:" إنّا أنزلناه قرآنا عربيا لقوم يعقلون"(يوسف:٢).

- ويستثير القرآن أولي الألباب ليتدبروا القرآن إن كانوا فعلا من هذه الفئة، وإن كانت عقولهم خالصة لا يعتريها خبال ولا خلل، قال تعالى: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولو الألباب" (ص: ٢٩).

- واستثار القرآن ملكة التفكّر ووظّفها لأجل إدراك أسرار هذا الكتاب، قال تعالى: "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدّعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكرون" (الحشر:٢١)، وقال: "وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكرون" (النحـــل: ٤٤).

- واستدعى القرآن ملكة التذّكر لتقف أمام آياته وأسراره وحقائقه وتنظر بعين بصيرة إليها، قال تعالى: "ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذّكروا وما يزيدهم إلا نفورا"(الإسراء: ٤١). وقال: "ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلهم يتذكرون" (الزمر: ٢٧).

- وحاسّة السمع معنية بوعي ما جاء في هذا القرآن.وإلا فلا قيمة لها على الإطلاق، وفي هذا السياق ورد قوله تعالى: "ويل لكل أفّاك أثيم. يسمع آيات الله تتلى عليه ثمّ يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم" (الجاثية: ٧-٨).

- وفي قوله تعالى:"إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد"(ق: ٣٧)· دلالة على أنّ الانتفاع والتأثر بالقرآن لا يكون إلا بحصول المؤثر، وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحيّ، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، ومن لم يكن قلبه حيّا فيحتاج إلى شاهد آخر يميز له بين الحقّ والباطل، وطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام، وقلبه لتأمله، والتفكر فيه وتعقّل معانيه، فيعلم حينئذ أنّه الحقّ"(٦٤).

- وأثار الشعور بالمسؤولية عن هذا الكتاب، كما في قوله تعالى: "وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون" (الزخرف: ٤٤)، وعن الإساءة إلى القرآن وسلك أسلوب التجزئة بوصف بعضه بالحقّ وبعضه بالباطل كما يزعم الماديّون يتقرر سؤالهم بنوع كبير من الوعيد والتهديد، قال تعالى: "كما أنزلنا على المقتسمين. الذين جعلوا القرآن عضين. فوربّك لنسألنهم

أجمعين. عما كانوا يعملون" (الحجر:٩٠-٩٣).

وبه يتقرر أن ست ملكات اضافة الى حاسّة البصر (الكهف:١٠١، الأحقاف: ٢٦) معنية بالوصول إلى أهداف هذا التوظيف؛ فالعقل معني بتفهّم أن هذا القرآن نزل بلسان عربي مبين، وبالاستدلال من آياته على أنّه حجة النبوة وعلامتها الصادقة.

وأولو الألباب – على وجه الخصوص – معنيّون بتفعيل ملكة التذكر إزاء تدبّره ومعرفة محكمه ومتشابهه وتبصّر حقائقه، وإزاء كونه بلاغا مقررا لحقيقة الوحدانية.

وملكة التذكّر تستدعى ليس عند أولى الألباب فحسب، بل عند كل إنسان لتقف أمام تصريف الله الآيات في هذا القرآن، وضرب الأمثلة له، واتباعه وتيسيره للتذكر، والاتعاظ بما جاء به، إنّ هذه الملكة تؤدّي بالضرورة إلى أن يكون القرآن كتاب ذكرى لمن يرغب في اتخاذ سبيل الحقّ للوصول الى معرفة الله، ولا يدرك ذلك إلا المتّقون.

والسمع إن لم يكن بريدا أمينا الى القلب الواعي، فلا قيمة له؛ لأنّه قصّر في أولى أولوياته، وأهم واجباته.

وتبقى مسؤولية الإنسان عن هذا القرآن قائمة، ويقف القلب الواعي على رأس هذه الملكات والحواسّ مشغولا بكيفية الإجابة بالقول والفعل، أما القلب الخاوي فيغفل فتغفل كل ملكات الإدراك معه.

هذا ما ينبغي أن يتوصّل إليه الإنسان من خلال توظيف وسائل إدراكه أمام آيات الوحي، أعني: أن يدرك كل ما سطره القرآن من حقائق نظم بها شؤون الدنيا والآخرة.

المثال الثالث: إهلاك الأمم السابقة

ومثال آخر يشهد على تحقّق سنّة الله في الأمم السابقة التي كذبت رسل ربّها، وسلكت طريق الضلالة والغواية، فقد وظّف القرآن الوسائل الآتية لإدراكها واستثمارها لصالح حاضر الإنسان ومستقبله، وللدلالة من وجه آخر على صدق ما جاء به الأنبياء والمرسلون:

– توظيف العقل لإدراك ما فعل الله بالأمم السابقة: "إنّا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون. ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون" (العنكبوت:٣٤-٣٥).

– توظيف ملكة النظر للوقوف على تحقّق سنن الله تعالى في الأمم السابقة، قال تعالى: "أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتّقوا أفلا تعقلون" (يوسف: ١٠٩).

– وكذلك استثار القرآن أولي النّهى لإدراك هذه السنّة الإلهية التي تحقّقت في كثير من الأمم، قال تعالى: "أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات لأولي النّهى" (طه: ١٢٨).

– واستثار أولي الألباب –كذلك– للاعتبار بما حلّ بالقرى السابقة والأمم السالفة، قال تعالى: "وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربّها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابا نكرا. فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا. أعدّ الله لهم عذابًا شديدا فاتّقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرًا" (الطلاق: ٨-١٠)، والاتعاظ بقصص السابقين (يوسف:١١١).

– ووظّف ملكة التذكّر وقرنها بذكر هلاك الأقوام السابقة؛ للاتعاظ بما حلّ بهم وإنذار المخاطبين وتخويفهم، قال تعالى: "ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلّهم يذّكرون" (الأعراف: ١٣٠).

– ووظّف السمع وذكره في سياق تحقيق وظيفته المهمّة، وهي سمع ما حلّ بالأمم السابقة والاعتبار به، قال تعالى: "أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات أفلا يسمعون" (السجدة: ٢٦).

– استثارة أولي الأبصار وتحقيق العبرة لهم، وتفعيل حاسّة البصر من أجل التبصّر، وإدراك أنّ ما حلّ بالأمم السابقة كفرعون (آل عمران:١١-١٣)، والحاضرة لتنزيل الوحي على محمد كيهود بني النضير سيحل بالمكذّبين من المشركين الذين كذّبوا محمدا عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: "هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنّوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار" (الحشر: ٢).

فالعقل – إذن– مدعوّ للوقوف على ما حلّ بالأمم السابقة ومعرفة أسباب هلاكها ومعاينة آثار ذلك الهلاك.

وكذلك ملكة النظر مدعوّة لتدرك أنّ سنّة الله ثابتة لا تتغير ولا تتوقف، فالأمم السابقة كانت أكثر قوّة ومنعة، فقد شيّدت حضارات، وأقامت بنياناً شامخاً، وأوتيت نصيباً وافراً من أسباب القوّة المادية... وكل ذلك لم يغن عنهم شيئا عندما كذبوا رسلهم، وفسقوا عن أمر ربّهم، فليعتبر اللاحقون بما حلّ بالسابقين فتتحقق سنّة الله بإهلاكهم.

وأصحاب العقول الناهية مدعوّون للوقوف أمام هذه الآيات لينتهوا "عن القبائح التي من أقبحها ما يتعاطاه المنكر عليهم من الكفر بآيات الله والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي"(٦٥).

وأولو الألباب" الذين اعتبروا وتفكروا وتأملوا – في هذه الآية– وانتفعوا بمعرفتها"(٦٦) معنيون بالاستفادة منها استفادة تورث حذرا، وسلوكا مستقيما.

وملكة التذكر معنية بالوقوف – كذلك – أمام هذه الآية للوصول الى النتيجة نفسها. وكذلك حاسّة السمع معنية بالتدبّر والاتعاظ مما حلّ بالأمم السابقة، وعليها أن توصل هذه الأمانة الى القلب، ليستثمرها في صالح سلوكه طريق المعرفة الى الله تعالى.

قال ابن القيّم: "أيّ دلالة أعظم من رجل يخرج وحده، لا عدّة له ولا عدد، ولا مال، فيدعو الأمّة العظيمة الى توحيد الله والايمان بطاعته، ويحذّرهم من بأسه ونقمته، فتتفق كلمتهم أو أكثرهم على تكذيبه ومعاداته، فيذكرهم أنواع العقوبات الخارجة عن قدرة البشر، فيغرق المكذبين كلهم تارة، ويخسف بغيرهم الأرض تارة، ويهلك آخرين بالرّيح، وآخرين بالصيحة، وآخرين بالمسخ، وآخرين بالحجارة، وآخرين بظلمة من النار فوقهم، وآخرين بالصواعق، وآخرين بأنواع العقوبات، وينجو داعيهم ومن معه، والهالكون أضعاف أضعافهم عددا وقوّة ومنعة وأموالا، فهلا امتنعوا – إن كانوا على الحقّ وهم أكثر عددا، وأقوى شوكة – بقوتهم وعددهم من بأسه وسلطانه؟ وهلا اعتصموا من عقوبته كما اعتصم من هو أضعف منهم من أتباع الرسل؟(٦٧)

المثال الرابع: الآخرة أو اليوم الآخر

لنستعرض قضية من قضايا عالم الغيب لنرى تفعيل القرآن وسائل إدراكها ومعرفتها، ولتكن اليوم الآخر أو الآخرة .

فاليوم الآخر لا يصلح إزاءه إلا الإيمان (البقرة:٦٢، الطلاق: ٢).

أمّا الآخرة فلا يصلح معها إلا الإيمان (الأنعام:٩٢، سبأ: ٢١)، واليقين (البقرة:٤، النمل:٣، لقمان:٤). إنّها عقيدة لا يصلح لها إلا الإيمان والتسليم، والخضوع واليقين، ولقد نعى القرآن على الذين لا يؤمنون بها (الإسراء:١٠، ٤٥).

وهذا شأن حقائق عالم الغيب، ليس هناك شيء من حواسّ الإنسان بالقادر على الوصول إلى حقيقته، لأنّها وسائل عاجزة عن الوصول إليها، أو الوقوف على كنهها، وهنا يبرز الوحي بوصفه مصدرا من أهم مصادر المعرفة لتلك الحقائق، ليؤكد أنّ هذه الحقيقة –كسائر حقائق عالم الغيب– لا تقبل أقل من اليقين، ولا حرج في هذا ما دامت المعجزة قد أقامت الحجّة على الخلق، و"لأنّه لا دين في الوجود إلا وفيه جملة من الحقائق التوقيفية التي لا تؤخذ إلا تلقيا عن الأنبياء، فحتى الأديان الوضعية المختلفة والمذاهب والفلسفات تضع سياجا حول جملة من القضايا، لا تسمح لعقول العامّة بالخوض فيها، وتلتزم بتلقيها تلقيا عن سدنة المذهب أو النحلة"(٦٨).

لقد أوقف القرآن العقل أمام مظاهر كونية متضادّة أو متقابلة كالإحياء والإماتة أو تقلب الليل والنهار (المؤمنون: ٧٩ –٨٠) وأمام حدث تاريخي حصل فيه موت ثم إحياء (البقرة: ٧٢–٧٣)، مستدلا بها على الآخرة. وأوقف الفكر أمام مؤشرات عديدة تشير إلى نهاية الكون تحقيقا للحياة الآخرة (يونس:٢٤). وها هو الإنسان يقوم بهذه العملية في نومه ويقظته وهو دليل على الموت والبعث في الآخرة (الزمر:٤٢). واستدعى ملكة التذكر لتقف أمام حقيقة الحياة الآخرة من خلال إحياء الأرض بعد موتها (الأعراف:٥٧)، فلشدّة ظهور دلائل الآخرة كأنّها لا تستدعي أكثر من ملكة التذكر(٦٩).

لقد وجّه القرآن العقل إلى عدم الجدال في الحقائق القطعية المطلقة: "ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد" (الحج:٣)؛ لأنّ النصوص التي تشهد لذلك لا يسع العقل تجاهلها، لذلك سمّى الهوى القابع وراء الشكّ جدلا. إنّ كل الحقائق الغيبية واقعة في مجال إدراك العقل، ولكن ليس له من نشاط إزاءها سوى الإيمان بها والتسليم بأنّها حق على وجه اليقين، فليست هي مجال بحث أو نشاط للعقل إلا أن تكون حافزا له على فعل الصالحات واستباق الخيرات.

الخاتمـــة

إنّ من أهم النتائج التي يمكن تسجيلها في هذا البحث الموجز لهذا الموضوع الضخم الحقائق الآتية:

أولا: إنّ الحقائق المطلقة في هذا الوجود مثل: الله الخالق الواحد الأحد، واليوم الآخر، هي غاية القرآن التي فعّل لأجل إدراكها كل وسيلة، ومن أجل أن يصل الإنسان إلى هذه الحقائق لا بدّ له من أن يبذل جهدا عقليا ونفسيا وروحيا وماديا.

ثانيا: لقد استخدم القرآن الكريم وفعّل وأثار سبع عشرة وسيلة وحاسّة وملكة في الإنسان تقوده إلى تلك الحقائق، فالعقل ومقارباته: اللبّ والحجر والنّهى والحلم خمسة، إضافة إلى حاسّتي السمع والبصر، إضافة إلى ملكة: النظر والتفكر والتذكر والتدبر والفقه. وجعل عمل هذه الوسائل عبر أساليب: الجدل والحوار والسؤال مرشدا إلى أولويات الإنسان في التفكير. وجعل من مادّة الهداية ثمرة لعمليات التفعيل، والهداية هي الوصول إلى معرفة تلك الحقائق. وتلك الحقائق لا ينفع معها مجرّد الإيمان ولكنها تتطلب اليقين الذي تميّز

بكونه سبيلا إلى الإمامة في الدنيا والدّين.

ثالثا: لقد زاد عدد الآيات التي فعّل القرآن فيها كل تلك الوسائل عن الألف آية، وبالنظر إلى مجموع آيات القرآن الكريم يظهر جليا مدى اهتمام القرآن بالإنسان أن يعرف ربّه، ويصلح دنياه، ولا يغفل عن آخرته.

رابعا: لقد كان كتاب الله المسطور –القرآن– وكتاب الله المنظور –الكون– مسرحا لكل عمليات تفعيل وسائل الإدراك والوعي والفهم، وهذان الكتابان اللذان يمثلان عالم الشهادة يفسحان المجال واسعا أمام العقل كي يفكّر بلا قيود، وينبئان عن حقائق عالم الغيب التي تقتضي اليقين، فعليه أن لا يخلط بين العالمين من حيث نشاط العقل وتفكيره، وبهذا يكون قد ضبط القرآن منهجِ التفكير لدى الإنسان.

خامسا: لقد اتّخذ القرآن منهجا متميزا حين يستحضر معظم وسائل الإدراك أمام قضية واحدة، لكي لا يدع القرآن أحدا بدون حظّ ولا نصيب من ذلك الإدراك، ويدعو أولي النّهى والألباب – في أغلب الأحيان – ليقفوا أمام أكثر القضايا وأهمها، ليكونوا قدوة لمن أراد أن يلحق بهم.

سادسا: حذّر القرآن الماديين من أن ينحصر تفكيرهم في الحياة الدنيا بتعطيل وسائل إدراكهم للسموّ إلى سقف معرفي فرد، يتمثل في معرفة الله تعالى، وهدّدهم في الآخرة بالعذاب الأليم ليقرع قلوبهم وأسماعهم ليتيقظوا، وهو جزء من علاج القرآن الكريم للعقل الماديّ.

سابعا: يثبت القرآن مسؤولية الإنسان الكاملة عن كل تلك الوسائل يوم القيامة، فلا عذر لأحد بالجهل أو التعامي عن الحقّ، أو الضلال في مستنقع الفحش والرذيلة، فإنّ القلوب يدخل إليها الإيمان من أبواب كثيرة من أبواب الكتابين.

الهوامش

(*) تضم مكتبة الجامعة الأردنية (٣٢٤) عنوانا ومؤلفا في موضوع العقل. وقد تناولت الباحثة فاطمة إسماعيل في رسالتها لمرحلة الماجستير "القرآن والنظر العقلي" بعض وسائل الإدراك التي عرضت في هذا البحث.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٤١-٣٤٢.

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص١٩.

(٣) امزيان، أصول المنهج المعرفي من القرآن والسنّة، ع ٨٧، ص٩٠.

(٤) العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج١، ص٩٧.

(٥) الجمل، الفتوحات الإلهية، ج ١، ص٤٨.

(٦) رضا، تفسير المنار، ج٢، ص٦٣. وهو فحوى كلام الرازي، انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢، ص٢٢٤.

(٧) العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ط١، ص١٩.

(٨) أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص٤٦٨.

(٩) امزيان، أصول المنهج المعرفي، ص٨٨.

(١٠) الأصفهاني، المفردات، ص١٠٩.

(١١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٤، ص٢٤٩.

(١٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٩، ص١٥٣.

(١٣) الأصفهاني، المفردات، ص٥٠٧. وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص١٣٩.

(١٤) الأصفهاني، المفردات، ص٤٤٦.

(١٥) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ١، ص١٩٦.

(١٦) الأصفهاني، المفردات، ص١٢٩.

(١٧) ابن الأثير، النهاية، ج١، ص ٤٣٣-٤٣٤.

(*) أفرد أبو حامد الغزالي في الإحياء كتابا خاصّا بالتفكر، فبيّن فيه فضيلته وحقيقته وثمرته، وبيّن مجاري الفكر، وكيفية التفكر في خلق الله تعالى.

(١٨) الأصفهاني، المفردات، ص٣٨٤.

(١٩) النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، ص٢٨.

(٢٠) بدري، التفكر من المشاهدة إلى الشهود، ص٣١.

(٢١) المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ص٢٣٥.

(٢٢) العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ص١٤٣.

(٢٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٤٧٩.

(٢٤) بدري، التفكر، ص١٠٢. وينظر: أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص١٢٢.

(٢٥) الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص٣٥٧.

(٢٦) الأصفهاني، المفردات، ص١٦٥.

(٢٧) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٩٤٢.

(٢٨) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٢، ص٢٠٧.

(٢٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص١٣٩.

(٣٠) الأصفهاني، المفردات، ص١٧٩.

(٣١) الغرناطي، ملاك التأويل، ج ٢، ص٧٣٤.

(٣٢) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص٤٧٩. وينظر: أبو السعود، ج ١، ص٢٢٢.

(٣٣) الأصفهاني، المفردات، ص٨٩.

(٣٤) المصدر السابق نفسه، ص١٣٥.

(٣٥) انظر الحوارفي القرآن، ص ١٥.
(٣٦) الأصفهاني، المفردات، ص ٢٤٢.
(٣٧) المصدر السابق نفسه، ص ٤٩.
(٣٨) المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ص ٢١٠.
(٣٩) بدري، التفكر، ص ٦١.
(٤٠) النورسي، اللمعات، ص١٥١-١٥٢.
(٤١) الأصفهاني، المفردات، ص ٤٩٧.
(٤٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٣. وهو منسوب إلى قتادة.
(٤٣) الأصفهاني، المفردات، ص٣٨٤.
(٤٤) الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٤٧٩.
(٤٥) الأصفهاني، المفردات، ص ٢٥٠.
(٤٦) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ١، ص ١٦٥.
(٤٧) المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص ٢١٢.
(٤٨) الأصفهاني، المفردات، ص ٥٤١.
(٤٩) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص ١٦٥.
(٥٠) الأصفهاني، المفردات، ص ٥٥٢.
(٥١) رضا، تفسير المنار، ج ١، ص١٣٣-١٣٤.
(٥٢) المبارك، الإسلام والفكر العلمي، ص ١١٥.
(٥٣) أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص ١٣٠.
(٥٤) المصري، تأملات في السنن الكونية، مجلة المسلم المعاصر، ع ٨٠، ص ٧١.
(٥٥) امزيان، أصول المنهج العلمي، ص ٩١.
(٥٦) الجمل، الفتوحات الإلهية، ج ٢، ص ٥٧٩.
(٥٧) النورسي، المثنوي العربي النوري، ص ٤٢٦.
(٥٨) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢، ص ١٩٩.
(٥٩) النورسي، المثنوي، ص ٢٥٧. وانظر: ص ١٨٩.
(٦٠) المصدر السابق نفسه، ص٢٨٠-٢٨١.
(٦١) الراغب الأصفهاني، مقدّمة جامع التفاسير، ص ٧٦.
(٦٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٤٣١.
(٦٣) المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص٤٣٩-٤٤٠.
(٦٤) انظر ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص ٩-١١. وانظر: له: التبيان في أقسام القرآن، ص ٣٢٠.
(٦٥) محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٦، ص ٢٨٠.
(٦٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٨، ص ٢٣٢.
(٦٧) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص ٣٠٢.
(٦٨) طه جابر العلواني، العقل وموقعه في المنهجية الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، ع ٦، ص ٢٠.
(٦٩) انظر: زياد الدغامين، عقيدة البعث وكيف تناولها القرآن الكريم، رسالة ماجستير مخطوطة، ص٩٧، ١٠٢، ١١٧، ١٢١، ١٣٣.

المصادر والمراجع

ابن كثير، اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، ١٩٨٢، بيروت.
أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر، ١٩٨٣، ط١، بيروت.
امزيان، محمد، ١٩٩٨، اصول المنهج المعرفي من القرآن والسنة، المسلم المعاصر، ع٨٧.
الجمل، سليمان، د.ت.، الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ج١، دار احياء التراث العربي، بيروت.
الدغامين، زياد، ١٩٨٧، عقيدة البعث وكيف تناولها القرآن الكريم، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
الراغب الأصفهاني، الحسين بن أحمد، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت.
رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج٢، دار المعرفة، بيروت.
الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، ج٤، دار المعرفة، بيروت.
الصغير، محمد حسين، ١٩٨١، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد، بغداد.
العقاد، عباس، د.ت.، التفكير فريضة اسلامية، ط١، نشر المؤتمر الاسلامي.
العمادي، محمد، ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، ج١، دار احياء التراث العربي، بيروت.
فضل الله، محمد حسين، ١٩٧٩، الحوار في القرآن، الدار الاسلامية، بيروت.
القرطبي، محمد بن أحمد، ١٩٦٥، الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت.

Activating Man's Means of Perception and Quran's Method of Utilizing Them

*Ziad Daghamin**

ABSTRACT

This study enumerates seventeen means of perception in more than a thousand Quranic verses. It investigates the Quranic method of utilizing these means , and the ends it achieves. It, also, investigates the fields in which these means work, and compares – through four issues – the means of perception Quran utilizes to suit each issue, and the aims achieved by this utilization. These issues are: sending down water from the sky, the Holy Quran, destroying of earlier nations and life in the Hereafter. In accordance with that, the study shows that the Holy Quran aims at treating the ill nature of those who reject faith while blaming, warning and threatening them for the misuse of their means of perception.

The study shows that perception includes all bases of Islamic conception about Allah (God) the Creator, The universe as manifest of His all-power, Man as a vicegerent on earth, and that life in the Hereafter is the eternal life. Thus, Man should not stop in using his means of perception at the borders of his life and consider it the ultimate and everything ; in fact, as the Holy Quran shows, Man should use all means of perception in knowing the visible world, and have certain belief in the invisible world as described in the Holy Quran.

---

* Faculty of Jurisprudential and Law Studies, Al-al-Bait University, Al-Mafraq, Jordan. Received on 29/7/2003 and Accepted for Publication on 24/6/2004.